

بيان الفرق

بين الصدر والقلب والنفوس واللب

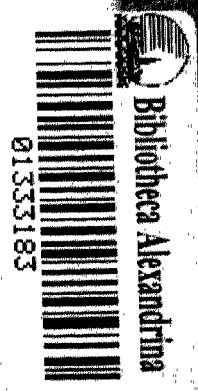
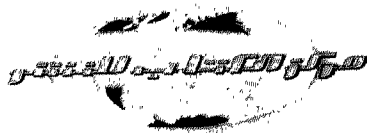
للمحافظ

أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي

من علماء القرن الثالث

حقيق وتعليق

الدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح



بيان الفرق

بين الصدر والقلب والفؤاد واللب
للحافظ

أبي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي
من علماء القرن الثالث

تحقيق وتعليق
الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح

مركز الكتاب للنشر

حقوق الطبع محفوظة



مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
ت: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - ٢٩٠٦٢٥٠ فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مكتبة مصر: ٧١ شارع ابن النسيم - المحطة الخامسة - ت: ٢٩١٢٢٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين. الذى أنعم علينا بنعمة الخلق والإيجاد. وأنزل القرآن الكريم لإصلاح حال الخلق فى الأرض.
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد. خاتم الأنبياء والمرسلين الذى أرسله ربه برسالة الحق.

أما بعد

فإن كتاب « الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب » للحافظ المحدث الإمام الحكيم الترمذى. من كتب التراث التى تهتم بالإنسان، وبحركته فى الحياة.

والفروق بين الصدر، والقلب، والفؤاد، واللب. قلما يتنبه لها أحد. مع أن معرفة هذه الفروق أمر يهم الباحثين فى الإنسان. لأن فهم الإنسان فهماً صحيحاً يقتضى معرفة ماله من خصائص.

فالصدر فى كتاب الحكيم الترمذى مرتبط بنور الإسلام.

والقلب مرتبط بنور الإيمان.

والفؤاد مرتبط بنور المعرفة.

واللب مرتبط بنور التوحيد.

وقد لا يخفى على أحد: أن فهم هذه الأمور ينمى الوعى الإيمانى، ويزيد الإنسان ثقافة، ويجعله أكثر تفتحاً وانطلاقاً.

لهذا كان علينا أن نقرأ تراثنا الأصيل، ونعمق ما جاء فيه. بكل اتجاهاته وأفكاره. لأن فى تلك القراءة. عوامل ثقافية بانية. تنقل الإنسان من

الاغتراب الزمانى والمكانى . إلى عالم أوسع ، يستطيع فيه الإنسان المثقف أن يكون مؤثراً ومفيداً للإنسانية ، وللمجتمعات المختلفة .
ويبدو لى أن مهمة إبراز هذا التراث الضخم تقع على عاتق العلماء والباحثين لأنه قد آن الأوان لربط حاضر الأمة بماضيها المشرق .
ومن يتأمل مصنفات الحكيم الترمذى أعماقا وأبعاداً يدرك جهود هؤلاء العلماء ، كما يدرك مدى حرصهم على سلامة وأمن مجتمعاتهم .
ولذلك كانت ثقافتهم تعمل لترشيد الإنسان ، والأخذ به إلى المسار الصحيح .

وقد تقع عينك وأنت تقرأ فى كتب التراث . على عبارة لا ترضاها . لأنها لا توافق ما أنت فيه . لكن ألا ترى أن هذه العبارة دلت على أن الناس كانوا يتميزون بالسماحة ، والتفتح الواعى ، والرؤية الواضحة .
وقد كان علماء الأمة يحترمون رؤى الآخرين ، ويقدرّون بعضهم حق التقدير . وما كان لهم من توجيه وتصحيح وإضافة . نجد أنه اتسعت له الكتب كما اتسعت صدورهم بالاحترام .
ولا شك أن وقتا يقضيه الإنسان قارئاً وباحثاً . يستحق كل عناية واهتمام .
وإن أمة تخطو إلى مجد مشرق - بمشيئة الله - لابد وأن تتعلق بالأصالة ، وما يساهم فى إعطاء الإنسان ما يستحقه .

الدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح

الحكيم الترمذی

الحافظ: أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذی

يعتبر الحكيم الترمذی. من أعظم الشخصيات الإسلامية التي يعتز بها التاريخ الإسلامي فقد ظهر في فترة ازدهار علمي. كانت بداية لتفتح ينابيع المعرفة.

ظهر الحكيم في فترة كانت أحوج ما يكون إلى الحكيم..
وقد ولد الحكيم: أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذی، في العشر الأولى من القرن الثالث الهجري الموافق للقرن التاسع الميلادي.

وكان والد الحكيم من رواة الحديث النبوي. رحل في طلبه، واشتغل بروايته. ترجم له الخطيب البغدادي. وذكر أنه نزل بغداد.
وقد روى الحكيم الترمذی كثيراً من الأحاديث النبوية في كتبه المتعددة عن والده.

وكانت أم الحكيم كذلك من أهل الحديث. فقد روى عنها الحكيم في كتابه «الرد على المعطلة» وكذلك جده لأمه كان من أهل الحديث.
لقد فتح الحكيم الترمذی عينيه على حلقات العلم وروايات الحديث والدروس العلمية. منذ بدأ يعقل.

لأن أباه كان أحد علماء الفقه بجانب رواية الحديث. وقد أخذ أبوه يدرس في حب العلم، ومحصيل المعارف. ويحمله على ذلك في وقت مبكر. حتى امتلاً وفي سنة المصمب الساكر. بالإقبال على مذاكرة العلوم وتحصيلها. شأن النابهين.

وحسبك بيت علم ينشأ فيه الحكم . فتلتقط أسماعه أول ما تلتقط آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يهتف بها أبوه كما تهتف بها أمه .

ولهذا كان لكتاب الله - عز وجل - وسنة النبي محمد عليه الصلاة والسلام السلطان على اتجاهات الحكيم وتفكيره، ومصنفاته .

وقد أخذ الحكيم الترمذى عن كثير من شيوخ المحدثين فى عصره والذى يستتبع شيوخه من المحدثين الذين روى عنهم يجد أنهم كثرة .

وأبو بكر الكلاباذى المتوفى سنة ٣٨٠ هـ يقول عن الحكيم : «إنه فيمن صنف فى المعاملات، وأحد الأعلام المشهورين، المشهود لهم بالفضل . الذين جمعوا علوم المواريث، والاكتساب، وسمعوا الحديث، وجمعوا الفقه، والكلام . واللغة، وعلم القرآن» . .

والسلمى المتوفى سنة ٤١٢ هـ يذكره بأنه : «من كبار مشايخ خراسان، وله التصانيف المشهورة» . .

وأبو نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ . يقول عنه فى كتابه «خلىة الأولياء» : «إنه مستقيم الطريقة، يرد على المرجئة، وغيرها من المخالفين، تابع للأثار . . .» . .

والقشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ يقول عنه : «إنه من كبار الشيوخ وله تصانيف فى علوم القرآن» . .

والهجویری المتوفى سنة ٤٧٠ هـ يقول عنه : «محمد در يتيم، لا قرين له . وله إسناد عال فى الأحاديث» .

ويقول عنه السبكي فى كتابه : «طبقات الشافعية» : «المحدث الزاهد أبو عبد الله الترمذى . صاحب التصانيف» . .

ويذكره ابن حجر فى «لسان الميزان» بقوله : «إنه كان إماماً من أئمة المسلمين له المصنفات الكبار، فى أصول الدين، ومعانى الحديث وقد لقى الأئمة الكبار» . .

والذهبي في «تذكرة الحفاظ» يقول عنه: «الزاهد، الحافظ، المؤذن، صاحب التصانيف».

والشيخ زكريا الأنصاري . يقول عن الحكيم: «إنه صاحب التصانيف المشهورة، اشتهر بملزمة العبادة، وتفرد بكثرة الرواية، وعلو الإسناد، رحل في طلب العلم والحديث، لقي الأكابر، وأخذ عن أرباب المحابر، وهو من أقران البخاري»..

وابن الجوزي في كتابه: «صفة الصفوة» يقول عنه: «إنه من كبار مشايخ خراسان، له التصانيف المشهورة».

وذكر الحكيم الترمذي بكل تقدير وإجلال كثير من المؤرخين، ومشايخ الإسلام كالمناوي، ودار شكواه، وطاش كبرى زاده، والزركلی، وغيرهم من علماء الأمة.

لقد كان رحمه الله صاحب فكرة واسع، ومنهج محدد في رسم الصورة المثلى للرقى الإنساني.

ولقد انتشرت مصنفاته الكثيرة بين الناس، وأخذ عنها العلماء المتبحرون. ولقد تأكد لى - وأنا أعد رسالة العالمية «الدكتوراه» بجامعة الأزهر. وكانت الرسالة تحت عنوان: «السلوك عند الحكيم الترمذي ومصادره من السنة النبوية» أن كثيراً من المصنفين الكبار نقلوا من كتبه الكثير. مثل: القرطبي، والسيوطي، وأبو هلال العسكري، والغزالي، وغيرهم. مما يدل على مكانته العلمية.

كتاب: الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب

- كتاب الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب . من الكتب التى تفرد فى تصنيفها الحكيم الترمذى .

- وهذا الكتاب توجد مخطوطته الوحيدة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٣٦٧ فهرس الكتب العربية الجزء الأول ص ٣٤٥ طبع ١٩٢٤م وفى خزانة المكتب الهندى بلندن نسخة مصورة من هذه المخطوطة برقم ١٩ زوتو .

- والكتاب قيم فى موضوعه . وكان الحكيم الترمذى يعنى بهذه الفروق وله كتاب آخر نعمل بمشيئة الله على تحقيقه جاء تحت عنوان : «الفروق ومنع الترادف» .

- والحكيم الترمذى فى كتابه «بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب» انطلق من القرآن الكريم . ولذلك تجده فى كل حالة يذكر الآيات القرآنية المناسبة .

ومما جاء فى كتاب «الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب» .

- أن انشراح الصدر والضيق إنما يضاف إلى الصدر ولا يضاف إلى القلب والبصدر موضع الغل والجناية . لأن النفس ذات غل وجناية ولها ولاية فى الصدر بالدخول . وهو من جهة الابتلاء . .

- والعمى والبصر يضاف إلى القلب ولا يضاف إلى الصدر . وهذا هو الطريق الظاهر . وأما من جهة مجاز اللغة وتعارف الناس ربما يعبر بلفظه الصدر عن القلب .

- وكل علم لا يوصل إليه إلا بالتعلم والتحفظ والاجتهاد والتكلف من جهة السمع . فإن موضعه الصدر .

- واسم الفؤاد أدق معنى من اسم القلب .
وكتاب الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب . تجد شيئاً منه فى كتاب
«حقيقة الأدمية» كتاب الرياضة فى تعلق الأمر بالخلق» الذى قمت بتحقيقه
والتعليق عليه بالصورة المرجوة - كما بدا لى - وقد كان أول عمل فى هذا
الكتاب أن قمت بنسخه . ثم راجعت نصوص الكتاب على مصنفات الحكماء
الترمذى الكثيرة .

وبينت أرقام الآيات القرآنية وأسماء سورها .
وغزوت الأحاديث النبوية إلى مصادرها . ما أمكن ذلك .
وكان العمل يقتضى التعليق على كثير من النصوص التى تحتاج إلى زيادة
بيان .

وقد صححت كثيراً من التصحيفات والأخطاء ويبدو أنها من الناسخ
وكان علينا أن نقف عندها طويلاً .
وقمت بعمل فهرس للآيات القرآنية . وفهرس للأحاديث النبوية . وفهرس
للأثار والأخبار .
كل ذلك لتتم الفائدة .

الدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح

بيان الفرق

بين الصدر والقلب والفؤاد واللب

للمحافظ

أبي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي
ت ٣٢٠ هـ

تحقيق وتعليق

الدكتور / أحمد عبدالرحيم السايح



رب يسر وأعن

قال أبو عبد الله محمد بن علي الترمذی : أما بعد .
 فإن بعض أهل العلم، والفقه . سألني^(١) عن بيان الفرق بين الصدر،
 والقلب، والفؤاد، واللب، وما وراءها من الشَّغاف^(٢)، ومواضع العلوم .
 وأحب أن أشرح له بتوفيق^(٣) الله تعالى . . إذ هو ميسر كل عسير^(٤)، وبه
 أستعين^(٥) .

(١) قد يكون هناك سائل قد سأل الحكيم الترمذی . عن بيان الفرق بين الصدر، والقلب، والفؤاد، واللب .
 خاصة أن العلماء آنذاك كانوا يُسْتَفْتَوْنَ فيفتون .

وقد لا يكون هناك سائل أصلاً قد سأل . وإنما عادة العلماء جرت حين يصنفون رسائل تبدو لهم
 موضوعاتها . يرون أن يذكروا أن سائلاً سأل . وذلك ليكون التأليف له وقع أكثر .

(٢) الشَّغاف: الشغاف غلاف القلب . قال الله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَدْ شَفَّعَهَا حَبًّا﴾ . أى أوصل الحب
 إلى شغاف قلبها .

(٣) وأحب أن أشرح له بتوفيق الله تعالى: أى أبين وأوضح للسائل المراد من القلب، والصدر، والفؤاد،
 واللب . برعاية الله وتوفيقه، وتيسيره .

(٤) إذ هو ميسر كل عسير . قال تعالى في سورة الانشراح: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ .

(٥) الاستعانة تكون بالله .

الْفَقِيْرُ الدَّوْلِي

[فى مقامات القلب]

اعلم . زادك الله فقها فى الدين^(١) . أن اسم القلب^(٢) اسم جامع ، يقتضى مقامات الباطن كلها^(٣) .

وفى الباطن مواضع : منها ما هى من خارج القلب . ومنها ما هى من داخل القلب . فأشبه اسم القلب اسم العين .

إذ العين اسم يجمع ما بين الشفيرتين من البياض ، والسواد ، والحدقة ، والنور ، الذى فى الحدقة .

وكل واحد من هذه الأشياء له حكم على حدة ، ومعنى غير معنى صاحبه ، إلا أن بعضها معاونة لبعض ، ومنافع بعضها متصلة ببعض .

وكل ما هو خارج فهو أساس الذى يليه من الداخل . وقوام النور بقوامهن . وكذلك اسم الدار اسم جامع لما يحفظ بحيطانها من الباب ، والداهليز ، وصحنها فى بيوتها ، وما فيها من المخادع ، والخزانة . وكل مكان وموضع فيها له حكم غير حكم صاحبه .

(١) دعاء بالتفقه فى الدين . انطلاقاً من قول الرسول ﷺ : « من یرد الله به خیراً یفقهه فى الدين » . والفقه فى الدين هو الأسلوب الأمثل للوعى الدينى . وهو ضرورة حیاتیة .

(٢) القلب : سُمى لأنه أخلص شئ فى الإنسان وأرفعه . وخالص كل شئ وأشرفه قلبه . ويقولون عربی القلب . قال :

فلا تكثرُوا فیها الضجاج لِإِنِّى * تخیرتها منهم رِیْبِیة قلباً

(٣) مقامات الباطن داخله فى القلب . وكل واحد من هذه المقامات مرتبط بأحد أنوار الله .

فالصدر مرتبط بنور الإسلام . والقلب وهو من داخل الصدر مرتبط بنور الإيمان . والفؤاد مرتبط بنور المعرفة . واللب مرتبط بنور التوحید .

والمقامات مفرداً مقام . وهو اسم موضع .

وكذلك اسم الحرم^(١) اسم جامع للحرم، من حوالى مكة، والبلد، والمسجد، والبيت العتيق. وفي كل موضع مناسك غير ما يكون فى الموضع الآخر.

وكذلك اسم القنديل اسم جامع للزجاجة. وفى القنديل موضع الماء غير موضع الفتيلة، وموضع الفتيلة غير موضع الماء. وهو داخل موضع الماء. والفتيلة هى التى يكون فيها النور، وفى موضع الفتيلة دهن ليس فيه ماء، وصلاحه بصلاح هذه الأشياء كلها. إذا نقص منها واحد فسد ما سواه.

وكذلك اسم اللور اسم جامع للقشر الخارج الذى فوق القشر الصلب، والقشر الثانى الذى هو مثل العظم، والمخ، واللب الذى فيه، والدهن الذى فى داخل اللب.

فاعلم. رادك الله فقها فى الدين^(٢). أن لهذا الدين أعلاماً ومنازل. ولأهله فيه مراتب. وأهل العلم فيه على درجات.

قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾^(٣).

وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ﴾^(٤).

وكل علم هو أرفع فموضعه فى القلب هو أكن^(٥)، وأخص، وأحرر، وأخفى، وأستر. ولكن ذكر اسم القلب ينوب عن ذكر سائر المقامات عند عامة الناس.

(١) يروى فى تسميته بالحرم أقوال:

- أن الله حرم التعرض له، والتهاون به، وجعل ما حوله حرماً لمكانه.
- أنه كان ولم يزل ممتنعاً عزيزاً يهابه كل جبار.
- أنه حرم على الطوفان. أى امتنع منه. كما سمي عتيقاً لأنه اعتق منه.
- أمر الصائرين إليه أن يحرموا على أنفسهم أشياء كانت تحل لهم من قبل.
- حرم على عباده أن يقربوه بالدماء والأقذار وغيرها.

(٢) فاعلم رادك الله فقها فى الدين: دعاء من الحكيم لترمدى لمن يتعلم أن يزيده الله فقها فى الدين.

(٣) سورة الزخرف. الآية رقم ٣٢.

(٤) سورة يوسف. الآية رقم ٧٦.

(٥) أكن: الهمزة، والكاف، والنون ليست أصلاً. وذلك أن الهمزة فيه، مبدلة من واو. والأصل: «وكنة»

وهو عش الطائر. يقولون لعش الطائر «وكنة» ويجمع «وكنات» ويقولون «توكن» فى معنى «تمكن».

ولكن الصدر فى القلب . هو فى المقام^(١) من القلب بمنزلة بياض العين فى العين . ومثل صحن الدار فى الدار، ومثل الذى يحوط بمكة، ومثل موضع الماء فى القنديل .

فهذا الصدر موضع دخول الوسواس والأفات . كما يعيب بياض العين آفة البثور، وهيجان العرق، وسائر علل الرمد . وكما يوضع فى صحن الدار من الخطب، والقماشات . ويدخل فيها كل أحد من الأجانب أحياناً وكما يدخل السباع، والبهاائم، فى ساحة الحرم . وكما يقع فوق الماء فى القنديل الفراش وغيره . وإن كان فوق الماء دهن فأسفل موضعه الماء . وكما تدب القملة، والبعوض، والذباب فى قشر اللوز الذى هو أعلى إذا انشق حتى صارت الهوام الصغار يدخلن فيه .

والذى يدخل فى الصدر قلما يشعر به فى حينه . وهو موضع دخول الغل والشهوات، والمنى، والحاجات . وأنه يضيق أحياناً، وينشرح أحياناً . وهو موضع ولاية النفس الأمانة بالسوء . ولها فيه مدخل، وتتكلف أشياء، وتتكبر، وتظهر القدرة من نفسها .

وهو موضع نور الإسلام^(٢) . وهو موضع حفظ العلم المسموع، الذى يتعلم من علم الأحكام، والأخبار . وكل ما يعبر عنه بلسان العبارة، ويكون أول سبب الوصول إليه التعلم، والسمع .

ولمّا سُمى صدر^(٣) لأنه صدر القلب . وأول مقامه كصدر النهار الذى هو أوله، أو كصحن الدار الذى هو أول موضع منها .

ويصدر منه وساوس الحوائج، وفكر الاشتغال تصدر منه إلى القلب أيضاً إذا استقرت وطالت المدة .

(١) ولكن الصدر فى القلب هو فى المقام من القلب . إشارة إلى ارتباط الصدر بالقلب وإن هذا الارتباط له المكان الأرفع .

(٢) وهو موضع نور الإسلام : أى الصدر .

(٣) الصدر للإنسان . والجمع صدور . قال الله تعالى : ﴿ وَتَكُنْ تَعْنَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

وأما القلب فهو المقام الثانى فيه . وهو داخل الصدر . وهو كسواد العين الذى هو داخل العين . وهو البياض .
وكبلد مكة الذى هو داخل الحرم ، وكموضع الفتيلة من القنديل ، وكالبیت داخل الدار ، وكاللوز داخل القشر الأعلى .
وهو معدن نور الإيمان ، ونور الخشوع ، والتقوى ، والمحبة ، والرضا ، واليقين ، والخوف ، والرجاء ، والصبر ، والقناعة .
وهو معدن أصول العلم . ولأنه مثل عين الماء . والصدر مثل الخوض .
يخرج من العين إليه الماء كالصدر يخرج من القلب إليه العلم . أو يدخل من طريق السمع إليه .

والقلب يهيج منه اليقين ، والعلم ، والنية حتى يخرج إلى الصدر .
فالقلب هو الأصل ، والصدر هو الفرع . ، إنما يتأكد بالأصل الفرع . كما قال رسول الله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات»^(١) .

ففسر رسول الله ﷺ أن العمل الذى تعمله النفس إنما يرتفع مقداره بنية القلب . وتضاعفُ الحسنة على قدر النية . والعمل للنفس ، ومنتهى ولايتها إلى الصدر بنية القلب وولايته .

والقلب فى يد النفس رحمة من الله تعالى . لأن القلب هو الملك ، والنفس هى المملكة . كما قال رسول الله ﷺ : «واليد جناح ، والرجلان بريد ، والعينان مصلحة ، والأذنان قمع ، والكبد رحمة ، والطحال ضحكة ، والكليتان مكر ، والرئة نفس ، فإذا صلح الملك ضلحت جنوده ، وإذا فسد الملك فسد جنوده»^(٢) .

(١) الحديث رواه البخارى فى صحيحه «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» .

وأخرجه مسلم برقم (١٩٠٧) وأبو داود برقم (٢٢٠١) والترمذى برقم (١٦٤٧) وابن ماجه برقم (٢٤٢٧) والنسائى (ج١ ص ٥٨ - ٦٠) وجزء (٦ ص ١٥٨ - ١٥٩) وجزء (٧ ص ١٣) . ومالك فى الموطأ (ص ٤٠١) وأحمد فى المسند (ج١ ص ٢٥ و ٤٣) وابن منده فى الإيمان .
(٢) انظر: علاء الدين الهندى كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال جزء أول حديث رقم ١٢٠٦ - ١٢٠٧ .

فبين رسول الله ﷺ : أن القلب ملك . فالصدر للقلب كالמידان للفارس .
وبين عليه السلام : أن صلاح الجوارح بصلاح القلب ، وفسادها بفساد القلب^(١) . فالقلب بمنزلة السراج . وصلاح السراج بالنور . وذلك النور نور التقى واليقين . لأنه إذا خلا عن هذا النور كان القلب بمنزلة مسرجة ، طفئ نور سراجها . وكل عمل جاء من النفس من غير قلب . فإنه ليس بمعتبر في حكم الآخر ، وليس بمؤاخذ صاحبه إن كان معصية ، ولا مثاب إن كان طاعة . كما قال الله تعالى : ﴿ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾^(٢) .

ومثل الفؤاد في القلب . وهو المقام الثالث . كمثل الحديقة ، في سواد العين ، وكمثل المسجد الحرام في داخل مكة ، وكمثل المخدع والخزانة في البيت ، وكمثل الفتيلة في موضعها وسط القنديل ، وكمثل اللب في داخل اللوز .

وهذا الفؤاد موضع المعرفة ، وموضع الخواطر ، وموضع الرؤية ، وكلما يستفيد الرجل ، يستفيد فؤاده أولاً . ثم القلب . . والفؤاد في وسط القلب . كما أن القلب في وسط الصدر . مثل اللؤلؤة في الصدف .

ومثل اللب في الفؤاد . كمثل نور البصر في العين ، وكمثل نور السراج في فتيلة القنديل . وكمثل الدهن المكنون في داخل لب اللوز . وكل واحد من هذه الأشياء الخارجة وقاية ، وستر للذى يليه من الداخل . وكل واحد منهم يشاكل^(٣) الباقيات الآخر .

(١) يدل على ذلك قول الرسول ﷺ «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمها كثير من الناس . فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه . ومن وقع في الشبهات كراخ يرمى حول الحمى يوشك أن يواقعه . ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه . ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله . وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» .

والحديث أخرجه البخارى ، ومسلم ، وابن ماجه ، وأحمد ، والدارمى .
(٢) سورة البقرة . الآية رقم ٢٢٥ .

(٣) الشين ، والكاف ، واللام . معظم بابه : المائلة .
تقول : هذا شكل هذا . أى مثله . ومن ذلك يقال أمر مشكل كما يقال أمر مشتبه . أى هذا شابه هذا . وهذا دخل في شكل هذا .

فهى أشكال متعاونات، قريبة المعانى، بعضها من بعض، موافقات غير مخالافات لأنها أنوار الدين، والدين واحد. وإن كان مراتب أهله تختلف، وتتنوع.

وهذا اللب موضع نور التوحيد، ونور التفريد. وهو النور الأتم، والسلطان الأعظم.

وبعد هذا مقامات لطيفة، وأمكنة شريفة، ولطائف ظريفة، والأصل لهن جميعاً نور التوحيد.

فالتوحيد سر، والمعرفة بر، والإيمان محافظة السر، ومشاهدة البر، والإسلام الشكر على البر، وتسليم القلب للسر.

لأن التوحيد سر بهداية الله تعالى للعبد، ودلالته إياه عليه. لم يكن العبد يدركه بعقله لولا تأييد الله تعالى، وهدايته له. . . والمعرفة بر من الله تعالى له. إذ فتح الله له باب الآلاء^(١)، والنعماء، مبتدئاً من غير استحقاق من العبد لذلك، ومن عليه بالهدى حتى آمن بأن هذا كله من الله تعالى، منه عليه نعمة ومنة، لا يقدر على شكره إلا بتوفيق الله.

وذلك أيضاً نعمة جديدة منه عليه، فهو يشاهد بر الله، ويحافظ سره، إذ هو الموفق.

لأنه لا يدرك كيفية ربوبيته. فعلم أنه واحد. ويجتنب التشبيه، والتعطيل، والتكليف، والتجنيف^(٢).

(١) الآلاء: النعم.

(٢) يشير الترمذى إلى ما ينبغى أن يكون من الإيمان. فأهل السنة يؤمنون بصفات الله إيماناً خالياً من التشبيه، والتعطيل، والتكليف، والتجنيف.

والإيمان الخالى من التشبيه: أى من تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق، كتشبيه النصارى المسيح ابن مريم بالله سبحانه وتعالى.

والتعطيل: هو نفى الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذات الله سبحانه.

والتكليف: هو أن تذكر كيفية صفة. ويقال: كيف. كيف. تكيفاً. أى ذكر كيفية صفة. والتكليف يسأل عنه بكيف. وأهل السنة لا يكتفون بصفات الله.

والتجنيف: الميل. يقال: جنف إذا عدل، وجار. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْعِدِنَا أَنْ يَقْبَلَ إِلَيْنَا الْبَقَرَةَ الْآيَةَ﴾ رقم ١٨٢. ويقال: رجل أجنف إذا كان فى خلقه ميل. ويقال: تجانف عن كذا إذا مال. قال:

تجانف عن جل اليمامة ناقتى

وما عدلت عن أهلها لسوائك

فهذا هو الإيمان الذى هو يشاهد البر، ويحافظ السر.

وإن الإسلام هو استعمال النفس فى بر الله. بطاعته بالشكر، والاستقامة وتسليم الربوبية إليه^(١)، والإعراض عن إدراك السر، والإقبال إلى العبودية، والدوام على ما يقر به إليه.

لأن الإسلام إنما يقام بالنفس. والنفس هى عمياء عن إدراك الحق ومشاهدته. ولم يكلف النفس إدراك الحقائق.

ألا ترى. . أن العبد أمر بالإيمان بالقلب، ولم يكلف بإدراك ما آمن، من جهة الكيفية. إنما عليه الاتباع، والفرار من الابتداع^(٢). ويكفى من النفس التسليم فحسب.

والمقامات المسكوت عنها التى وراء هذه المقامات المذكور بعضها إنما يبصرها عبد موفق بفهم هذه المقامات الموصوفة بهذه الأمثال المعروفة. يعينه الله تعالى ويؤيده ليفهمها. . وتكون هذه المقامات التى وراء هذه المذكورات كزيادة صفو الماء. إذا لبث فى الآنية.

فهذه الأمثال يدرك السر المسكوت عنه.

(١) تسليم الربوبية إليه: أفراد الله سبحانه وتعالى فى الخلق، والملك، والتدبير. قال تعالى: «ألا له الأمر والخلق» وقال تعالى: «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ».

(٢) الابتداع من البدعة. والبدعة فى اللغة: هى الأمر المستحدث كما قال تعالى: «قل ما كنت بدعا من الرسل».

والبدعة فى اصطلاح العلماء: هى الأمر المستحدث فى الدين. وهى:

١- بدعة حقيقية. وهى ما استحدث فى الدين أصلاً ووصفاً.

٢- وبدعة إضافية. وهى ما استحدث فى الدين بوصفه دون أصله.

والبدع الحقيقية والإضافية مذمومة شرعاً.

الفصل الثاني

[فى الصدر]

وإن المؤمن قد ابتلى بالنفس وأمانيتها. وأعطيت النفس ولاية التكلف بالدخول فى الصدر.

والنفس معدنها فى الجوف وموضع القرب. وهيجانها من الدم وقوة النجاسة. فيمتلىء الجوف من ظلمة دخانها، وحرارة نارها. ثم تدخل فى الصدر بوسوستها وأباطيل أمانيتها ابتلاء من الله إياه. حتى يستعين العبد بصدق افتقاره ودوام تضرعه لمولاه. . فيجيبه الله تعالى، ويصرف عنه شرها. وكذلك الشيطان يدخل بوسوسته فى صدر العبد. وهو آخر ولاية حد النفس. لأن النفس الأماره بالسوء شكل الشيطان. وهما شيطانان قال الله تعالى: ﴿شَیَاطِینَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ (١) الآية.

وإن الله جل وعلا رحم عبده المؤمن حيث لم يجعل قلبه فى يد نفسه. وإنما هو برحمته يتولاه، ويبتليه بدخول الشيطان ووسوسته فى صدره، ليعلمه قليلاً من حقارة قدره، ويريه تمام فقره.

وتصديق ذلك قوله عز وجل: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ (٢).

يعنى. والله أعلم بوساوس الشيطان والنفس ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٣). وهو طهارة القلب بنور الإيمان. وقال جل وعز: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (٤).

(١) سورة الأنعام: الآية رقم ١١٢. والآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَیَاطِینَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

(٢) سورة آل عمران. الآية رقم ١٥٤.

(٣) سورة آل عمران. الآية رقم ١٥٤.

(٤) سورة الناس. الآية رقم ٥.

اعلم. أن انشراح الصدر والضيق^(١)، إنما يضاف إليه ولا يضاف إلى القلب. قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾^(٢).
وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾^(٣).
وقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾^(٤).
وأخبر عن كليمة موسى عليه السلام أنه قال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾^(٥).

فأضاف الله الضيق إلى الصدر. وضيق صدر النبي عليه السلام، وصدر الكليم. لا يكون من جهة الوسواس الذي يكون لعامة المسلمين، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عصمهم ربهم من وسواس الشيطان، ومنارعات النفوس. ولكن كانت تضيق صدورهم إذا سمعوا الكفار يذكرون الله شريكاً، أو يكذبونهم إذا ذكروا وحدانية الله تعالى ولا غاية لضيق الصدر إذا ضاق.

وصدر كل واحد يضيق على قدر جهله، وغضبه.
وكذلك لا غاية لسعته إذا انشراح بهدى الله تعالى.
فإذا ضاق عن الحق اتسع للباطل، وإذا ضاق عن الباطل اتسع للحق ألا ترى إلى ما ذكر الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٦).
فمن الله بشرح صدره بأنوار حق الإسلام، حتى ضاق صدره عن وسع الباطل^(٧).

(١) أصل الشرح: بسط اللحم ونحوه. يقال شرحت اللحم وشرحته. ومنه. شرح الصدر. أي بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه. «انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني».
وأصل الضيق ضد السعة. ويقال: الضيق أيضا والضيقة: يستعمل في الفقر، والبخل، والغم، ونحو ذلك..

(٢) سورة الاعراف. الآية رقم ٢.
(٣) سورة هود. الآية رقم ١٢.
(٤) سورة الحجر. الآية رقم ٩٧.
(٥) سورة الشعراء. الآية رقم ١٢، ١٣.
(٦) سورة الانشراح. الآية رقم ١.
(٧) راجع القرطبي في تفسيره.

وصدر المؤمن يضيق أحياناً من كثرة الوسواس، والغم، والشغل، وتتابع الحوائج، وبلوغ الحوادث، وإصابة المصائب.

ويضيق أيضاً إذا سمع باطلاً. فلا يحمل قلبه ذلك. لأن الله تعالى وسع صدره بنور الإسلام: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾^(١).

وأما صدر الكافر والمنافق. فإنه امتلأ من ظلمات الكفر، والشرك، والشك. واتسع لها فلم يبق فيه مكان لنور الإسلام، وضاق عن وسع نور الحق فيه.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَكِن مِّن شَرِّ الْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾^(٢). وقال: ﴿فَمَن يُّرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُّرِدْ أَن يُّضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾^(٣).

فبين الله تعالى. أن الصدر إذا امتلأ من ظلمات الكفر ضاق عن وسع أضدادها من الأنوار.

وصدر المؤمن مكان نور الإسلام فيه.

والإسلام اسم جامع لدين الله تعالى، ويضيفه للعبد أيضاً لقوله عليه السلام: «الإسلام إقرار باللسان، وعمل بالأركان، مع تصديقه بالإيمان، ومشاهدته ببعض صنائع الرحمن»^(٤). . . كما أن العين، والحرم، والدار، والقنديل، واللوز. أسماء جامعة.

والإسلام اسم عام يشتمل على الإيمان، والقول باللسان، والعمل بالأركان^(٥).

(١) سورة الزمر الآية رقم: ٢٢.

(٢) سورة النحل. الآية رقم ١٠٦.

(٣) سورة الأنعام. الآية رقم ١٢٥.

(٤) لم نقف على هذا الحديث فيما بين أيدينا من مراجع. وقد يكون من رواية الحكيم الترمذي.

(٥) قال ابن القيم:

واشهد عليهم أن إيمان الورد * قول وفعل ثم عقد جنان .

فالإيمان تصديق بالجنان، وعمل بالأركان، وقول باللسان. ويقول الشافعي في كتابه «الأم»: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم، ومن أدركناهم يقولون: إن الإيمان قول، وعمل، ونية. وقال الإمام أحمد بن حنبل: ولهذا كان القول: إن الإيمان قول وعمل عند أهل السنة من شعائر السنة.

ولكن الإسلام له ظاهر وباطن. فظاهره ربما حمله المنافق، وشرك أهل الإسلام فيه ظاهراً، وهو فى الباطن كافر.

قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(١).

فبين الله تعالى أنهم لم يؤمنوا بعد إلا أنهم أسلموا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم.

وأما باطن الإسلام فهو الانقياد لرب الأنام، وتسليم النفس، والقلب لما يجرى عليه من الأحكام. قال الله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^(٢).

فهذا هو المسلم حقاً الذى يشاكل نور إسلامه نور الإيمان ونور الإحسان فتعاونت، وتواصلت، وتشاكلت.

قال الله تعالى فى قصة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَجْهَدُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾^(٣).
وفى قصة إبراهيم: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾^(٤).

فهؤلاء خاصة الله، طلبهم الله بالاستقامة على حقيقة الإسلام. وهو أنهم تبرءوا من حولهم وقوتهم. فأسلموا ظاهرهم وباطنهم لله.

والدليل على أن الإسلام والإيمان. وإن كانا مختلفى الإسمين فهما شكلان فى المعنى. قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾^(٥).

(١) سورة الحجرات. الآية رقم ١٤.

(٢) سورة البقرة. الآية رقم ١١٢.

(٣) سورة المائدة. الآية رقم ٤٤.

وجاء فى مفردات القرآن للأصفهاني: الذين أسلموا أى الذين انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولى العزم لاولى العزم الذين يهتدون بأمر الله، ويأتون بالشرائع.

(٤) سورة الصافات. الآية رقم ١٠٣.

(٥) سورة يونس. الآية رقم ٨٤.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية^(٢).

والإيمان على تعارف العامة وعلى وجه الشريعة: هو التصديق بالحق وقبوله بالقلب، والإقرار باللسان أنه حق.

والإسلام هو الانقياد للحق بالنفوس، والقلب، والإقبال إليه، والاستقامة عليه، والاجتناب عما يخالفه.

والصدر أيضا موضع الغل والجناية. لأن النفس ذات غل وجناية. ولها ولاية في الصدر بالدخول. وهو من جهة الابتلاء. وقد ذكر فيما تقدم. قال الله تعالى في صفة أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾^(٣). حتى يدخلوا الجنة بلا غل.

وقلب المؤمن محفوظ من الغل. لأنه موضع الإيمان. إلا أن الله تعالى أمر عباده أن يدعوه ويسألوه أن لا يجعل في قلوبهم غلا. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٤).

وأحب أن يدعوه، ويخافوه ليظهر قلوبهم.

(١) سورة القصص. الآية رقم ٥٣.

(٢) سورة الداريات. الآية رقم ٣٥، والآية ٣٦. وقوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

ولا يخفى: أن الناس في مسمى الإسلام. على ثلاثة أقوال:

- فطائفة: جعلت الإسلام هو الكلمة.

- وطائفة: أجابوا بما أجاب النبي ﷺ حين سئل عن الإسلام والإيمان. حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة. والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة.

- وطائفة: جعلوا الإسلام رادفا للإيمان.

وإذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمن الإسلام.

وإذا أفرد اسم الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمنا بلا نزاع.

«انظر شرح العقيدة الطحاوية (ج ٢ ص ٤٨٨ ، ٤٨٩) ط مؤسسة الرسالة»

(٣) سورة الأعراف. الآية رقم ٤٣. وسورة الحجر. الآية رقم ٤٧.

(٤) سورة الحشر. الآية رقم ١٠.

ولم يضمن لهم حفظ صدورهم من الوسواس، ليعرفوا منة الله عليهم، ويحفظ قلوبهم ليستغيثوا إليه من وساوس الصدور، ليزدادوا عزاً وشرفاً بالله. إذا طهر قلوبهم ومحصها^(١). ويزدادوا ذلاً في أنفسهم.

قال الله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۖ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾^(٢).

فبين الله أن الشفاء يكون للصدور التي هي موضع الغل.
وقال أيضاً: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾^(٣). فقلب المؤمن سليم، وصدوره سليم. وقلب الكافر والمنافق ميت وسقيم، وصدوره فيه ظلم عظيم.

قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾^(٤).

وقال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٥).

وقال: ﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا﴾^(٦).

واعلم. أن كل علم لا يوصل إلا بالتعلم، والتحفظ، والاجتهاد، والتكلف. من جهة السمع والخبر. قرآنًا كان أو حديثًا، أو غيره. فإن موضعه: الصدر. ويجوز عليه حكم النسيان.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٧). وهو العلم الذي تنهياً عبارته، وقراءته، وزروايته، وبيانه. ويمكن في صاحبه النسيان. لأن النفس هي التي تحملها، وتحفظه. وهي مطبوعة على النسيان. فربما ينساه بعد التحفظ، وبعد جهد كثير.

(١) التمهيد: التنقية. قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

(٢) سورة التوبة. الآية رقم ١٤، ١٥.

(٣) سورة يونس. الآية رقم ٥٧.

(٤) سورة البقرة. الآية رقم ١٠ وسورة المائدة. الآية رقم ٥٢.

(٥) سورة لقمان. الآية رقم ١٣. ويذكر العلماء: أن الشرك ضربان:

أحدهما: الشرك العظيم. وهو إثبات شريك لله تعالى. يقال أشرك فلان بالله. وذلك أعظم كفر.

وثانيهما: الشرك الصغير. وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور. وهو الرياء، والنفاق.

(٦) سورة غافر. الآية رقم ٥٦.

(٧) سورة العنكبوت. الآية رقم ٤٩.

والصدر فى هذا المعنى كظهر القلب . يقال: فلان يقرأ عن ظهر قلبه .
ومع هذا الجهد ربما غلط ، وسها ، وشك فى محفوظه .
والصدر أيضا من القلب كالصدفة من اللؤلؤة . ربما دخل فى الصدفة شئ
غير اللؤلؤة . مثل الماء وما يشبهه . ثم يخرج منها .
[وليس فى اللؤلؤة موضع غير يدخل فيها شئ . اللهم إلا أن يرفع فحينئذ
يصير موضعه خاليا يسع فى مكانها شئ آخر]^(١) .

(١) تبدو العبارة غير واضحة . ولعل المراد: ليس فى الصدفة موضع غير موضع اللؤلؤة يدخل فيه شئ . إلا
أن ترفع اللؤلؤة فحينئذ يصير موضعها خاليا يسع فى مكانها شيئا آخر .

الْقَصِيدَةُ الثَّالِثَةُ

[فى القلب]

والعمى والبصر يضاف إلى القلب، ولا يضاف إلى الصدر. قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١). هذا هو الطريق الظاهر.

وأما من جهة مجاز اللغة، وتعارف الناس. ربما يعبر بلفظة الصدر عن القلب. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾^(٢).

وقال: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾^(٣).

وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(٤).

وعنى بذلك القلب.

ولكن عنى بها كلها قلوب الكفار. لأن صدورهم وقلوبهم صادة موصدة^(٥). لخلوها عن نور الهدى.

وهذا النوع من العلم. لا يستقر فى الصدر، ولا يتمكن فيه. إلا بعد التكرار، وجهد الاعتبار، والمواظبة عليه. لأنه مثل الطريق. وخاصة لما دخل فيه من الخارج مثل المسموع.

فأما ما خرج إليه. من داخل القلب، من لطائف الحكمة، وشواهد المنة، فاستقراره فى الصدر متمكن.

(١) سورة الحج. الآية رقم ٤٦.

(٢) سورة آل عمران. الآية رقم ٢٩.

(٣) سورة آل عمران. الآية رقم ١١٨.

(٤) سورة القصص. الآية رقم ٦٩.

(٥) الصد يؤول إلى إعراض وعدول. فالصد: الإعراض. يقال: صد، يصد. وتقول: صدت فلانا عن الأمر. إذا عدلته عنه «انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس».

ولمّا لا تثبت فى الصدر هذه الأحوال . لأنه موضع ورود الأشغال،
والحوائج لأنه كالفناء للبيت الذى فى الدار .

وقد يدخل فى الدار من الخدم، والحشم، والجيران، والأجانب، وغيرهم
فى أوقات . ولا يدخل فى البيت الذى يدخل فيه صاحبه إلا ذو رحم، أو
محرم، أو قريب، أو صديق .

وقد يعبر من جهة مجاز اللغة أيضاً . بالنفس عن القلب . قال الله تعالى
فى قصة عيسى - عليه السلام - : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِى نَفْسِي ﴾ ^(١) يعنى : تعلم ما فى
قلبي .

وقال : ﴿ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ ^(٢) يريد به القلب .
وقال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل تجاوز عن أمتى ما حدثت به
أنفسها» ^(٣) .

فبان لك : أن المراد من الحديث وساوس الصدور التى لا تستقر .
فأما ما استقر فى القلب . فإنه يسأل عنه ، ويحاسب . قال الله تعالى :
﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ ^(٤) .

وكل علم تحمله النفس ، ويعيه الصدر . فإن النفس تزداد به تكبراً ،
وترفعاً ، وتأبى قبول الحق .

وكلما اردادت علماً اردادت حقداً على الإخوان ، وتمادياً على الباطل
والطغيان .

قال رسول الله ﷺ : «إن لهذا العلم طغيانا كطغيان المال» ^(٥) . واعلم . أن
العلم إذا قل نفعه اشترى به صاحبه الثمن القليل ، وأعرض عن طاعة الله .

(١) سورة المائدة . الآية رقم ١١٦ :

(٢) سورة البقرة . الآية رقم ٢٣٥ .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . راجع راد المسير لابن الجوزى (جدا
ص ٣٤٣) .

(٤) سورة الإسراء . الآية رقم ٣٦ .

(٥) لم نعثر عليه فيما لدينا من مصادر .

وهذا العلم إنما تعلمه لإقامة الشريعة، وتأديب النفس، وإصلاحها، ومنعها عن الجهل، ومعرفة حدود أحكام الدين، وقوام ظاهر الدين. وإنما تكثر منفعتها، وتزداد، وتعظم إذا كشف الله له الباطن، علم القلب. وهو العلم النافع.

ألا ترى إلى ما قال رسول الله ﷺ: «العلم علمان: علم باللسان فذلك حجة الله على خلقه، وعلم بالقلب فذلك العلم النافع»^(١).

وتعوذ رسول الله ﷺ فقال: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع»^(٢).

وقال أيضا ﷺ: نعوذ بالله من منافق عليم اللسان جهول القلب»^(٣).

فهذا كله دليل على أن المسموع الذي يحمله. إنما هو حجة الله على النفس وهو يشتري به الدنيا، ويستغنى به عن الدين الذي هو أنفع له، ولا يعمل به حتى يكشف الله له من العلم النافع. وروى عنه عليه السلام أنه قال: «من عمل بما يعلم أورثه الله علم ما لم يعلم»^(٤).

ثم اعلم. أن القلب لا غاية لغور بحاره، ولا عدد لكثرة أنهاره.

ومثل الحكماء في البحار كالغواصين. ومثلهم في الأنهار كمثل السقائين والصيادين.

فكل يستخرج، ويجد منها على قدر ما يرزقه الله منها.

فمنهم من يكشف له من جواهر معرفة عيوب الدنيا، وسرعة انقلابها، وكثرة غرورها، وقلة ثباتها، وتعجيل زوالها. . ويكشف له من معرفة مكائد الشيطان، وأصناف وسائسه.

(١) رواه الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخه بإسناد حسن وابن عبد البر النمرى في كتاب العلم عن الحسن بإسناد صحيح. انظر فيض القدير (جدا ص ٣٩١). وانظر الترغيب والترهيب للمندري (جدا ص ٣٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه والترمذي والنسائي. وهو جزء من حديث. انظر المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمندري (جدا ص ٤٠ حديث رقم ٨٣).

(٣) رواه الطبراني في الكبير وأحمد في المسند، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (جدا ص ١٨٧) رجاله موثقون. وقال الشيخ شاکر: إسناده صحيح.

(٤) ذكره الإمام السيوطي في «الإتقان في علوم القرآن» ج٢ ص ٥١٣ ط بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

ومنهم من يكشف له من طريق معرفة مراتب أهل التقوى، ودرجات أهل العلم، ومكارم الأخلاق، وحسن معاملة الخلق عند مساوئهم، واحتمال الأذى، والسخاوة بالدنيا، والإيثار على نفسه، كائناً من كان، وخوف النار، ومحاربة الشيطان، ومجاهدة النفس، ومخالفة هواها، ومتابعة الرسول وأصحابه، والتمسك بالسنة^(١).

ومنهم من يكشف له من طريق التحدث بنعم الله، وذكر آلائه، ودفع بلائه، وكثرة عطائه، وجميل ستره، وطول حلمه، وعظيم عفوه، وسعة رحمته. وما أشبهها من هذا النوع.

ومنهم من يكشف له من طريق مشاهدة ما سبق له من الله في أزلته، وقدمه، من ذكره إياه، ومن حسن نظره إليه، واجتباؤه واختياره، واصطفائه، ولطائفه السابقة.

ومنهم من يكشف له من طريق مشاهدة الحقائق من أفعال الربوبية^(٢). فيشاهد آثار قدرته في الأشياء كلها، وجميل صنعه، وما أشبه هذا الجنس.

ومنهم من يكشف له من طريق مشاهدة عظمة الله، وجلاله، وكبريائه، وعظم قدرته، وحقارة قدر خلقه، في جنب عظمته، ورؤية فقر الخلق، وضرهم، وفاقتههم، وحاجتهم إليه، وقوته، وغناه عنهم، وسعة خزائنه، وكفايته، وحسن عنايته في أمورهم.

ومنهم من يكشف له من جهة رؤية التوفيق، وحلاوة المعرفة، والمحبة، ورؤية عصمته إياه من الضلالة، والكفر، والأهواء.

ومنهم من يكشف له من طريق مشاهدة فردانيته، ووحدانيته فقط. حتى لا يرى في سره معه غيره، فيتلاشى قدر من دونه في سره. حين يشاهد الله جل جلاله. فيرى قدمه، وكماله، وبقائه. ويرى حدوث الخلق وفنائهم.

(١) أى الالتزام بسلوك الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) مشاهدة الحقائق من أفعال الربوبية: آثار قدرة الله عز وجل في الأشياء.

وجميع هذه الوجوه ليس لبحارها غاية، ولا لجواهرها نهاية. وقد قال جل جلاله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١).

وهذه الوجوه كلها. ما يجرى منها على لسان الحكيم. كمثل البحر يموج منه الزبد. فينبذه البحر. فينتفع به الإنسان.

فكذلك الحكيم ما يجرى من الحكمة على اللسان، ويعبر للخلق على لسان البيان. كزبد يهيج من بحر القلب.

وزبد البحر ينتفع به من كان به رمد العين. فكذلك ينتفع من فى قلبه مرض حب الدنيا، ورمدت عينا قلبه، بقول الحكيم، ويشفى الله تعالى صدره مما فيه من الأمراض. من حب الشهوات، ومثله من الآفات.

فهذا طريق باطن العلم وظاهرة، ولا يستغنى أحدهما عن الآخر. لأن أحد العلمين بيان الشريعة. وهو حجة الله تعالى على خلقه.

والآخر بيان الحقيقة التى وصفت بعضها. فعمارة القلب والنفس بهما جميعاً. وصلاح ظاهر الدين وقوامه بعلم الشريعة. وصلاح باطنه وقوامه بالعلم الآخر وهو علم الحقيقة.

والدليل على ذلك: أن صلاح الدين بصحة التقوى. وقد قال رسول الله ﷺ: «التقوى هاهنا» (٢) وأشار بيده إلى قلبه.

فمن اتقى بالعلم الظاهر وأنكر العلم الباطن. فهو منافق. ومن اتقى بالعلم الباطن. ولم يتعلم العلم الظاهر. ليقيم به الشريعة وأنكرها فهو زنديق. وليس علمه فى الباطن علماً فى الحقيقة. إنما هو وساوس يوحى بها الشيطان إليه.

(١) سورة البقرة. الآية رقم ٢٦٩.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (٢٥٦٣) ورقم (٢٥٦٤) وأخرجه البخارى (ج١ ص ٤٠٤) وأبو داود برقم (٤٩١٧).

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ يُؤْحُونَ إِلَىٰ أُولِيَائِهِمْ﴾^(١).

وأما من كان مسلماً، مؤمناً، صالحاً، عارفاً، آمناً بكتاب الله، وسنة رسوله، وتمسك بالشريعة، وعمل بها، واقتدى برسول الله ﷺ، واتبعه، واتبع الأئمة من أصحابه، وشاهد بقلبه مع الله تعالى على سبيل الافتقار، والافتخار به، ورؤية الاضطراب من نفسه، وترك الاختيار، وصحبة الملك العفار.

وقد وفقني الله بمنته حتى بالغت في الشرح، والبيان بين الصدر والقلب. والقلب هو معدن نور الإيمان. قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾^(٢).

وقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٣). وقال: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٤).

والقلب هو معدن التقوى، والسكينة، والوجل^(٥)، والإخبات^(٦)، واللين، والطمأنينة، والخشوع، والتحميص، والطهارة. قال الله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾^(٧). وأشار بالإلزام إلى قلوبهم.

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٨).

(١) سورة الأنعام. الآية رقم ١٢١.

(٢) سورة المجادلة. الآية رقم ٢٢.

(٣) سورة الحجرات. الآية رقم ٧.

(٤) سورة النحل. الآية رقم ١٠٦.

(٥) الوجل: استشعار الخوف يقال: وجل يوجل. وجلاً. فهو وجِلٌ. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾. ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾. ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾.

(٦) الخبت المطمئن من الأرض. وأخبت الرجل قصد الخبت أو نزله نحو أسهل والمجد. ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع. قال الله تعالى: «وأخبتوا إلى ربهم» وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ أى المتواضعين. وقوله تعالى: ﴿فَخَبِئَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أى تلين وتنخسح.

(٧) سورة الفتح. الآية رقم ٢٦.

(٨) سورة الفتح. الآية رقم ٤.

وقال: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾^(١).
 وقال فى قصة الخليل عليه السلام: ﴿وَلَكِنْ لَيَطْمَئِنُّ قَلْبِي﴾^(٢).
 وقال: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا﴾^(٣).
 وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾^(٤).
 وأشار رسول الله ﷺ وسلم بالتقوى إلى قلبه^(٥).
 وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٦).
 وأصل التقوى فى القلب. وهى التقوى من الشك، والشرك، والكفر،
 والنفاق، والرياء.

وقال فى الطهارة: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾^(٧).
 وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطْهَرِ قُلُوبَهُمْ﴾^(٨).
 وقال: ﴿وَلِيَمْحَصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٩).
 وقال فى الوجل: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ﴾^(١٠).
 وقال: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(١١).
 وقال فى الإخبات: ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾^(١٢).

-
- (١) سورة الفتح. الآية رقم ١٨.
 (٢) سورة البقرة. الآية رقم ٢٦٠.
 (٣) سورة المائدة. الآية رقم ١١٣.
 (٤) سورة الحجرات. الآية رقم ٣.
 (٥) سبق تخريج الحديث فى قوله ﷺ: «التقوى ها هنا».
 (٦) سورة المائدة. الآية رقم ٢٧.
 (٧) سورة الأحزاب. الآية رقم ٥٣.
 (٨) سورة المائدة. الآية رقم ٤١.
 (٩) سورة آل عمران. الآية رقم ١٥٤.
 (١٠) سورة المؤمنون. الآية رقم ٦٠.
 (١١) سورة الأنفال. الآية رقم ٢.
 (١٢) سورة الحج. الآية رقم ٥٤.

وقال فى اللين: ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١).
 وقال فى عدم الفقه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾^(٢).
 وقال فى الخشوع: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٣).
 ورأى رسول الله ﷺ رجلاً يصلى. وهو يعبث بلحيته. فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»^(٤).

وقال أهل التفسير: إن معنى الخشوع الخوف الدائم فى القلب^(٥).
 اعلم - رحمك الله^(٦) - أنه ليس من خلق الله شئ أطيب من قلب طاب بنور التوحيد، والمعرفة، والإيمان. ولا أطهر، ولا أنظف، ولا أبقى، ولا أصفى، ولا أوسع. إذا طهره الله من اللجاس، وتولى إحياءه بنور الحق، وحفظه، وحرسه، وزاد فيه من الفوائد. وهو قلب المؤمن. وليس لأنواره غاية.

وليس شئ أخبث منه، ولا أئتن، ولا أنجس. إذا خذل الله صاحبه. ولم يتول حفظه، ووكله إلى الشيطان. وهو قلب المنافق، والكافر. لأنه معدن الشرك، والشك، والنفاق، والريب، والمرض.
 قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(٧).
 وقال فى المنافقين: ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾^(٨).

-
- (١) سورة الزمر. الآية رقم ٢٣.
 (٢) سورة الاعراف. الآية رقم ١٧٩.
 (٣) سورة الحديد. الآية رقم ١٦.
 (٤) ورد فى بعض كتب السنة.
 (٥) انظر: غرائب القرآن لليسابورى. وفى مفردات القرآن للراغب الاصفهاني: الخشوع الضراعة. وأكثر ما يستعمل الخشوع فما يوجد على الجوارح.
 والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد فى القلب. ولذلك قيل فيما روى: «إذا ضرع القلب خشعت الجوارح»..
 (٦) دعاه بالرحمة من الحكيم الترمذى لمن يعلم.
 (٧) سورة التوبة. الآية رقم ٢٨.
 (٨) سورة التوبة. الآية رقم ٩٥.

وقال فى معنى الريب: ﴿وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(١).

وقال فى معنى الإنكار: ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾^(٢).

وقال فى معنى المرض: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾^(٣).

وأصل جميع الذنوب: قساوة القلب.

قال الحكيم: «إن القلب إذا قسى لا يبالى إذا أساء»^(٤).

والقلب إذا استنار بنور الله، ونور الإيمان. تولى الله حفظه، وملاه محبة، وخشية، وأقفل عليه قفل القدرة، ووضع مفتاح المشيئة فى خزانة غيبه، ولا يطلع عليه أحد إلا فى وقت سكرة الموت. فحيث لا يظهر له ما فى غيبه.

وإن القلب إذا امتلأ من ظلمات الكفر، والشك، والنفاق. قيص الله لصاحبه شيطانا^(٥). فتولى حفظه، وأقفل عليه قفل الخذلان. والله يعلم عاقبته، وما يؤول إليه أمره. لا يظهر ذلك لأحد إلى أن يغرغر. وذلك سر الله، لا يطلع عليه غير.

فكم من كافر بعيد وفق بالإيمان، فيموت سعيداً، وكم من مؤمن قريب يخذله ربه فيموت شقياً.

(١) سورة التوبة. الآية رقم ٤٥.

(٢) سورة النحل. الآية رقم ٢٢.

(٣) سورة البقرة. الآية رقم ١٠.

وسورة المائدة. الآية رقم ٥٢.

وسورة الأنفال. الآية رقم ٤٩.

وسورة التوبة. الآية رقم ١٢٥.

وسورة الحج. الآية رقم ٥٣.

وسورة الأحزاب. الآية رقم ١٢، ٦٠.

وسورة محمد. الآية رقم ٢٠، ٢٩.

وسورة المائدة. الآية رقم ٣١.

(٤) إن القلب إذا قسى لا يبالى إذا أساء. لأن هذا القلب فقد معايير الإيمان.

(٥) قال تعالى فى سورة الزخرف. الآية ٣٦ ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.

واعلم - رحمك الله -^(١) قدرة الله نافذة، وأنه لم يطلع على مراده، ومشيتته فى خلقه، وخواتم أعماله. إلا طائفة من الأنبياء. وذلك علامته لصحة نبوتهم.

وأخبر رسول الله ﷺ عن عشرة من أصحابه^(٢) أنهم من أهل الجنة، كرامة من الله وفضلاً منه عليه.

واعلم. . أن مدار تأكد وجوب الثواب والعقاب بالقلب، وفعله بالنفس تبعه. قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤْخِذْكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾^(٣).

ولمّا هذه فى أحكام الآخرة. وأما حكم الدنيا فالنفس تؤاخذ فى أفعالها، وأما فيما بين العبد وبين ربه. فإن الحكم بما فى القلب.

قال الله تعالى فى شأن عمار بن ياسر: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٤).

فبين الله عذره أنه لم يضره ذلك لطمأنينة قلبه على صدق الإيمان. ويثاب العبد لعمله بالأركان. إذا صحت نية قلبه على ذلك بنور الإيمان.

قال رسول الله ﷺ: «يثاب الناس على قدر نياتهم»^(٥). و «لنما الأعمال بالنيات»^(٦) و «لا عمل لمن لا نية له»^(٧). فالصدر موضع يصدر إليه علم العبارة.

(١) دعاء : والدعاء مطلوب.

(٢) يقول الإمام الطحاوى: وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ تشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ وقوله الحق. وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح. وهو أمين هذه الأمة. رضى الله عنهم أجمعين. . شرح العقيدة الطحاوية ج٢ ص ٧٢٨.

(٣) سورة البقرة. الآية رقم ٢٢٥.

(٤) سورة النحل. الآية رقم ١٠٦.

(٥) روى نحوه الطبرانى فى الكبير (ج ٦ ص ٢٢٨) والحديث (رقم ٥٩٤) وجاء الحديث فى الفوائد المجموعة برقم (٣٥٠) ورواه أبو نعيم فى حلية الأولياء (ج ٣ ص ٢٥٥). وانظر: مجمع الزوائد (ج ١ ص ٦١-١٠٩).

(٦) سبق تخريجه. .

(٧) هو رواية بالمعنى لحديث : «لنما الاعمال بالنيات».

والقلب معدن العلم الذى تحت علم العبارة . وهو علم الحكمة والإشارة .
وعلم العبارة : حجة الله على الخلق . . يقول الله لهم : ماذا عملتم فيما
علمتم ؟ .

وعلم الإشارة : محجة العبد إلى الله ، بهداية الله تعالى له . إنه من عليه ،
بكشف قلبه ، بمشاهدة غيبه ، ورؤية ما وراء حجبه كأنه يرى ذلك كله بعينه .
حتى لو كشف له الغطاء لما زاد فى نفسه .

فالقلب موضع علم الإشارة .

ومعنى علم العبارة : أن يعبر باللسان . ومعنى علم الإشارة : أن يشير
بقلبه إلى ربوبيته ، ووحدانيته ، وعظمته ، وجلاله ، وقدرته ، وجميع صفاته ،
وحقائق صنعته ، وفعله .

ومعدن نور الإيمان ، ونور القرآن . معدن واحد . وهو القلب . وكلا
النورين شكلاً .

قال الله تعالى : ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ ^(١) .

لجمع بين النورين بالهاء . كناية الواحد .

ومعنى الإشارة : أنه قد أشار إلى ربه بالربوبية ^(٢) لم يكفر به ، ولم يشكر
غيره ، ولا يرجو أحداً سواه .

واعلم . . أن نور القلب على سبيل الكل لا يتجزأ ، ولا يتبعض لأنه
أصل يبعث كله إذا جاء ، ويذهب كله إذا ذهب .

وكذا ظلمة الكفر . لأنها أصل كل مصيبة إلا أن تذهب . وربما يضعف ،
ويتهماً ، ويتبعض سلطانها . مثل السراج . إذ هو سراج واحد ، إن زادت ولاية
نوره أو نقصت .

(١) سورة الشورى : الآية رقم ٥٢ .

(٢) والربوبية : الاعتقاد الجارم بأن الله رب كل شئ ولا رب غيره .

وأما نور الصدر وظلمته. فإنه يزيد وينقص. لأن هذا فرع وهو بالنفس يقام. وعين به الإسلام. ومنه يدخل النقصان فى هذا الوجه من الدين، وربما يزيد فيه.

والدليل على ذلك ما قال رسول الله ﷺ فى شأن النساء فقال: «هن ناقصات العقل والدين»^(١).

وإنما المراد منه فرع الدين فى أيام الحيض والنفاس. فبان لك أن أنوار الصدور على وجوه، والعمل بها على المواقيت والمقادير.

فمن أراد علماً منه ارداد فى صدره نوره على مقدار ذلك. وينقص أيضاً نوره بترك استعماله.

لأن حامل هذا النوع من العلم هى النفس. فكما أنها تزيد وتنقص وكذلك أفعالها وصفاتها تزيد وتنقص.

وأما أنوار القلب. فإنها فى الأصل كاملة. ومثلها كمثل الشمس التى هى كاملة. ولكن الهواء إذا كان فيه علة مثل الغيم، والضباب، وشدة الحر، وشدة البرد. حجبت هذه الأشياء نورها. فانتقصت ولاية شعاعها، وقل سلطان حرها.

فإذا ارتفعت تلك العلل نفذت ولاية نورها، وبلغت شعاعها، واشتد سلطانها. ولم تكن فى ذاتها ناقصة، ولكن منافعها قد انقطعت للعلل التى وصفتها.

فكذلك نور الإيمان، ونور المعرفة، ونور التوحيد. إذا أخذتها ظلمات الغفلة، وغيوم النسيان، وحجب العصيان. وامتأ الصدر من غبار الشهوات، وضباب أضرار النفس، واليأس من روح الله. انتقصت ولاية هذه الأنوار عن النفس، وبقيت بذاتها تحت هذه الحجب و وراء هذه الأستار.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (ج١ ص ٣٤٥). وأخرجه مسلم فى صحيحه (برقم ٧٩) باختلاف يسير.

فإذا ارتفعت هذه العلل من الصدر بمنة الله، وتوفيقه، وصحت توبة العبد إلى الله تعالى. كُشف الغطاء، وخرقت الحجب، وظهرت منافعها على النفس، وانتشرت ولايتها.

فمن تفكر بتوفيق الله في هذه النكتة، واستمسك بالسنة. أزال الله تعالى كثيراً من الشبهات من قلبه، وقلع عن صدره عروق ريبه، وهده الله تعالى إلى مشاهدة حقائق غيبه.

وهذا شئ واضح لمن يسر الله عليهم الفقه، والفهم.

وأما مثل نور الأحكام. وهو نور الإسلام في الصدر. فإنه يزداد بصحة المعاملة، وصدق المجاهدة. وينقص نوره بالإعراض عن إقامة شرائعه، وترك استعماله. فمثله كمثل القمر. فإنه يزيد وينقص.

الإسلام: اسم جامع لأصل الدين وفروعه. وقد أكمل الله هذا الدين بفروعه، وأحكامه، في نيف وعشرين سنة. إلا أنه نسخ من أحكامه بعضها، فبدل بعضها^(١).

وأما الإيمان، والمعرفة، والتوحيد. فلا يجوز النسخ فيها، ولا تبديل شئ منها. وكفى العاقل الموفق إذا تفكر فيها. أن يعرف الفرق بين ما حملته النفس، وبين ما حملة القلب.

ولكن المؤمن هو من الله في مزيد من البر في كل لحظة، وساعة فتعلو مراتبه من جهة مشاهدة لطائف الله تعالى. ويكشف له من حجب الغيب من ساعة إلى ساعة ما لم يكشف له قبل ذلك.

وكذلك العبد تضعف أحواله أحياناً، وتشغل مراتب قلبه من جهة الغفلة. والأصول على حالها.

(١) النسخ هو رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي.

والنسخ لا يكون إلا في الأوامر والنواهي. سواء أكانت صريحة في الطلب أو كانت بلفظ الخبر الذي بمعنى الأمر أو النهي.

على أن يكون ذلك غير متعلق بالاعتقادات التي ترجع إلى ذات الله تعالى وصفاته وكتبه ورسوله واليوم الآخر أو الآداب الخلقية، أو أصول العبادات والمعاملات.

ومثلها أيضاً كمثل السراج يكون فى شئ فيرخى عليه الستور. فهو على حاله من الداخل. ولكن ضياؤه، ومنفعته حُجبت، وولايته عن الانتشار انقطعت.

ومثلها أيضاً كمثل المرأة تلف فى ثوب. فهى فى الأصل كما كانت إلا أن منفعة الظاهر قد انقطعت.

فافهم - رحمك الله - أن الكتاب المنزل^(١) - كما كان جبريل عليه السلام تولى إنزاله، بعلم الله تعالى. فمعدنه قلب النبی عليه الصلاة والسلام. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢). وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٣).

(١) الكتاب المنزل: القرآن الكريم. قال تعالى فى سورة الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.

(٢) سورة البقرة. الآية رقم ٩٧.

(٣) سورة الشعراء. الآية رقم ٩٣.

الفَصِيلَةُ الرَّابِعَةُ

[في الفؤاد]

واعلم . . أن الفؤاد . وإن كان موضع الرؤية . فإنما يرى الفؤاد ويعلم القلب .

وإذا اجتمع العلم والرؤية . صار الغيب عند صاحبه عياناً^(١) . ويستيقن العبد بالعلم والمشاهدة ، وحقيقة رؤية الإيمان : ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾^(٢) . . . والمنة لله عليه بالهداية ، والتوفيق بتصديقه . ﴿ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾^(٣) . والحجة لله عليه بتكذيبه .

وقال الله تعالى في علم اليقين ، وعين اليقين : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَ تَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾^(٤) ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿^(٥) . .

وأخبر الله نبيه موسى عليه السلام : أن قومه اتخذوا العجل فاشتد غضبه ، ورجع إلى قومه غضبان أسفاً^(٦) . لما أيقن بإخبار الله تعالى عنهم ، وحمل الألواح^(٧) .

(١) المراد بالغيب هنا ، ما كان غائباً أو خافياً أو بعيداً - على ما يبدو -

(٢) سورة الأنعام . الآية رقم ١٠٤ .

(٣) سورة الأنعام . الآية رقم ١٠٤ .

(٤) سورة التكاثر . الآيات رقم ٥ - ٧ .

(٥) إشارة إلى الآية ١٥٠ من سورة الاعراف . يقول الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَآخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ الْقَوْمِ اسْتَظْعَمُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

(٦) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ ﴿٥٢﴾ .

(٧) موسى عليه السلام لما أخبر أن قومه عبدوا العجل لم يلقِ الألواح . فلما رآهم قد عبدوها القاهها . وليس ذلك لشك موسى في خبر الله . لكن المخبر وإن جزم بصدق المخبر . فقد لا يتصور المخبر به في نفسه . كما يتصوره إذا عاينه «شرح العقيدة الطحاوية» .

فلما عاينهم يعبدون العجل ألقى الألواح، وأخذ برأس أخيه يجره إليه،
فكذلك قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أخى موسى ليس الخبر كالمعاينة»^(١) إن
موسى أخبره ربه قال: ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(٢). فلما
عاينهم ارداد غضبا وحدة.

فالقلب أيضا تضاف إليه الرؤية. ولكن إنما يرى بالنور الذى فيه. يدل
على ذلك. ما أجاب أبو جعفر محمد بن على رضى الله عنه للأعرابي، حين
سأله: «رأيت ربك؟»

فقال: «ما كنت أعبد شيئا لم أره».

فقال: «كيف رأيته؟».

قال: «إنه لم تره الأبصار بمشاهدة العيان. ولكن رآته القلوب بحقائق
الإيمان»^(٣).

فأشار إلى الرؤية بالقلب، ولكن بحقيقة نور الإيمان.

والقلب والفؤاد يعبر عنهما بلفظة البصر لأنها موضعان للبصر.

قال الله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٤).

وقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٥).

فأهل الأبصار: لهم الاعتبار. بأن يروا فى الأشياء لطائف صنع الله
تعالى. وإنما هم أهل القلوب.

(١) أخرجه ابن حبان (٢٠٨٨) والبخاري حديث (٢٠٠) والطبراني حديث (١٢٤٥١) وأخرجه أحمد (جدا) ص ٢١٥،
(٢٧١). والحاكم (جدا) ص ٣٢١.

والحديث: «يرحم الله موسى ليس المعين كالمخبر. أخبره ربه عز وجل أن قومه فتنوا بملء فلم يلق الألواح. فلما
رأهم وعانهم ألقى الألواح».

وفى لفظ: «ليس الخبر كالمعاينة. إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه فى العجل. فلم يلق الألواح. فلما
عان ماصنعوا. ألقى الألواح فانكسرت».

(٢) سورة طه. الآية رقم ٨٥.

(٣) أى الاعتقاد الجارم.

(٤) سورة: النور. الآية رقم ٤٤.

(٥) سورة الحشر. الآية رقم ٢.

وأهل المشاهدة بنور الإيمان على مراتب:

فمنهم من يكشف له عن عظام الغفلة بمجاهدته الصحيحة ورؤية الآخرة. بعيان عيني قلبه. كأنه ينظر إليها. كما قال حارثة: «أصبحت مؤمناً حقاً». قال رسول الله ﷺ: «إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك»^(١) الحديث.

فهذا كشف الله له. يعزف نفسه عن الدنيا. فرأى الآخرة، وعانها بنور قلبه. وإنه لم ينطق عن مقام مشاهدة الله، ومشاهدة صفاته ومنته، وبره، وعظمته. وما أشبهها، إنما ينطق عن مجاهدته التي أورثته مشاهدة العرش، والجنة وأهلها، والنار وأهلها.

فبان لك: أن الرؤية والمشاهدة، من جهة العبد. يزداد سلطانها، وأنوارها من الله تعالى.

وفرق آخر بين القلب والصدر: أن نور الصدر له نهاية، ونور القلب لانهاية له، ولا غاية، ولا انقطاع، وإن مات العبد.

وإنما العبد إذا مات على الإيمان. كان نوره معه لا يفارقه في القبر، ولا في القيامة. ويبقى معه دائماً.

قال الله تعالى: ﴿يُفَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢).

وأما أحكام شرائع الإسلام، وما كان بناؤه على سبيل التكليف. فإنها تنتهي غايتها بالموت.

وكفى به دليلاً لمن يقول بكمال الإيمان وأنه لا يزيد ولا ينقص.

وهو حجة على من يقول بزيادته ونقصانه. . ويشبهه بسائر الأعمال، ويقول: بأن الأعمال كلها إيمان. ويقول: إن الإيمان باللسان. أو يقول: في الحقيقة: إنه فعل العبد. أو يفرق بين حقيقة معنى الإيمان ومعنى الإسلام.

(١) الحديث رواه البزار عن أنس، ورواه الطبراني في الكبير من حديث الحارث بن مالك وسنده ضعيف «انظر الحكيم الترمذي كتاب أدب النفس تحقيق الدكتور أحمد السايح ط الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.

(٢) سورة إبراهيم الآية رقم: ٢٧.

وليس بمصيب منا من يشتغل بما لم يكلف^(١).
والسكوت للجاهل سلامة، والنطق للعالم من الله إكرام.
ألا ترى أن سؤال العبد في القبر. إنما يكون عن الأصول، ولا يكون عن
الفروع^(٢).

يقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟^(٣)
ولا يقال: ما عملك؟ ولا كيف صليت^(٤).
ويسأل يوم القيامة عن الإيمان أولا. ثم عن الأعمال على الولاء. فيثاب
بالأعمال على قدر قوة الأصول. وهى النيات.
إنما يسمى القلب قلبا لسرعة تقلبه. قال عليه الصلاة والسلام: «إنما مثل
القلب كمثل ريشة فى الفلاة من الأرض»^(٥) الحديث.
فأخبر عليه الصلاة والسلام طرفا من قدرة الله، وشيئا من لطفه لعبده
الضعيف، بتثبيت قلبه على الإيمان، وإرسائه على الحق بسرعة تقلبه. كيلا
يرتفع عن الهدى، بحول الله وقوته.
فالعقل من لا يضيف فعل القلب إلى نفسه إلا على مقدار ما يليق
بالعبودية، ويسكت عما لا يعنيه.
فإن له وراء ذلك اشتغالا عن الفضول بما لا يعنيه. ومن انهدام بناء
توحيده، وأساس إيمانه، وأرض معرفته. فَمَنْ غَيَّرَ بَيْنِيهِ؟

(١) أى ليس بمصيب من يشتغل بقضايا بعيدة عن المنهج الإسلامى. وتدخل الإنسان فى متاهات.
(٢) إن فى هذه الأصول دلائل على وحدة الأمة الإسلامية. ولو أن المصلحين استثمروا هذه الأساليب. لوصلوا بالأمة
إلى خير ما يكون لها. ولكن الناس فى هذا الزمان استثمروا الخلاف فى الفروع وجعلوه أساسا للتكفير، وتمزيق
الأمة.

(٣) حديث صحيح أخرجه أحمد فى المسند (٢٨٧/٤) و٢٩٥ وأخرجه أبو داود فى سننه حديث (رقم ٤٧٥٣) والبيهقى
فى إثبات عذاب القبر وابن أبى شيبه (ج٣ ص ٣٨٠، ٣٨٢) وابن منده فى الإيمان. والحاكم فى المستدرک (ج١
ص ٣٧- ٤٠).

(٤) إشارة إلى الفروع.

(٥) لم نجد الحديث فيما اطلعنا عليه من مراجع.

وقد وصفتُ أن الإسلام جمع العلم والعمل. والدليل عليه ما أجاب رسول الله ﷺ حين سأله جبريل: ما الإسلام؟ الحديث^(١).

فاتفقا على أن الإسلام علم وعمل.

وأجاب سؤاله عن الإيمان^(٢). فاتفقا في ذلك جميعا: أنه علم ومستقره القلوب.

وما خاصة أهل الإيمان. فإنهم يستفيدون من أحاديث رسول الله ﷺ، فوائد لطيفة. لا تهتدى العامة إليها. لأنهم محجوبون بنفوسهم عن لطائف الحق، برؤيتهم أعمالهم.

وقد أمر الله أن يخاطب الناس على قدر عقولهم. وقال: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾^(٣).

وأما جوابه عن الإحسان^(٤). فإنه قيد بمشاهدة الله عز وجل فقط.

فإما أن يشاهد العبد بقلبه ربه جل جلاله.

وأما أن يشاهد بقلبه أنه يراه جل جلاله.

وفى هذا الخبر فوائد كثيرة، دون ما عقلته العامة. إلا أن هذا ليس موضع بيانها.

فبين رسول الله ﷺ أن مقامات المؤمنين على قدر مراتبهم.

إذ قيد الإحسان بالرؤية. ومعدن الرؤية هو الفؤاد. قال الله عز وجل: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(٥).

(١) قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» والحديث رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (رقم ٨) وأخرجه أبو داود وابن ماجة والنسائي والترمذي، وابن حبان.

(٢) قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

(٣) سورة النساء الآية رقم: ٦٣.

(٤) قال له: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

(٥) سورة النجم الآية رقم: ١١.

والفؤاد مشتق من الفائدة، لأنه يرى من الله عز وجل فوائد حبه .
 فيستفيد الفؤاد بالرؤية، ويتلذذ القلب بالعلم . . .
 وإنه مالم ير الفؤاد . لم ينتفع القلب بالعلم . . .
 ألا ترى أن الأعمى لا ينفعه علمه شيئاً في وقت الشهادة . إذا احتاج إلى
 أدائها . لأنه محجوب عن الرؤية .
 فعلمه في الحقيقة علم . لكنه لم يتأكد سلطانه بجرح القاضي شهادته
 بالعمى ، وإن كان عدلاً :
 وفيه إشارة لمن فقهه الله في الدين . قال الله تعالى : ﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
 النَّاسِ ﴾ ^(١) . فكيف يشهد من علم شيئاً ولم يره .
 وقد ذكر الله في قصة يوسف وإخوته عليهم السلام أنهم قالوا : ﴿ وَمَا
 شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ ^(٢) . ولم يكونوا رأوا الصواع في رحل
 أخيهم . وأنه من وضع صاحب يوسف بأمره ، ولم يكن سرقة .
 وإن الله جل وعلا أكرمنا بالقرآن ، وهو بحره الأعظم . ملأه من جواهر
 اللطائف ، وجعله من خزائن الظرائف .
 فطوبى لمن أكرمه الله ببعض ما فيه من الحكمة ، والبيان في السر
 والإعلان .
 وقال بعض العارفين إنمى سمي الفؤاد فؤاداً . لأن فيه ألف واد . فإذا كان
 فؤاداً لعارف . فأوديته جارية من الأنوار ، من إحسان الله تعالى ، وبره ،
 ولطفه .
 واسم الفؤاد أدق معنى من اسم القلب . ومعناها قريب كقرب معنى
 الاسمين الرحمن الرحيم .

(١) سورة الحج . الآية رقم : ٧٨ .

(٢) سورة يوسف . الآية رقم : ٨١ .

فحافظ القلب هو الرحمن. لأن القلب معدن الإيمان. والمؤمن توكل بصفة إيمانه على الرحمن. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾^(١).

وحافظ الفؤاد هو الرحيم. قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(٢). وقال: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾^(٣).

ووصف الله تبارك وتعالى ربطه قلب العبد. فقال فى قصة أصحاب الكهف: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾^(٤). وقال فى قصة أم موسى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَّبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهَا﴾^(٥).

وقال أهل التفسير: ربط القلب بنور التوحيد.

وذلك أن القلب يعلم. والعالم يحتاج إلى ربط التأيد. حتى يطمئن بذكر الله عز وجل.

وأما الفؤاد فإنه يرى ويعاين. فيقع له الفراغة، ولا يحتاج إلى الربط. بل يحتاج إلى معونة المدد بالهداية. قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾^(٦).

فوصف الفؤاد بالفراغة وفضله على القلب. إذ كان القلب يحتاج إلى الربط. والفؤاد يرى ويعاين، والقلب يعلم و«ليس الخبر كالمعاينة»^(٧).

(١) سورة الملك. الآية رقم: ٢٩.

(٢) سورة الاعراف. الآية رقم: ١٥٦.

(٣) سورة الفرقان. الآية رقم: ٣٢.

(٤) سورة الكهف. الآية رقم: ١٤.

(٥) سورة القصص. الآية رقم: ١٠.

(٦) سورة القصص. الآية رقم: ١٠.

(٧) سبق تخريج الحديث.

الْقَائِلُ فِي الْإِسْرَافِ

[فى اللب]

واللب هو الجبل الأعظم، والمقام الأسلم. وهو كالقطب لا يزول ولا يتحرك وبه قوام الدين.

والأنوار كلها راجعة إليه، حافة حوله. ولا تتم هذه الأنوار، ولا ينفذ سلطانها إلا بصلاح اللب وقوامه، ولا تثبت هذه الأنوار إلا بشوته، ولا توجد إلا بوجوده.

وهو معدن نور التوحيد، ونور مشاهدة التفريد. وبه يصح من العبد حقيقة التجريد، وضياء التمجيد.

وإن هذا اللب نور مقرون، وزرع مغروس، وعقل مطبوع. ليس كالمركبات فى النفس التى هى داخلة. إنما هو نور مبسوط كالأشياء الأصلية.

وهذا اللب الذى هو العقل مغروس فى أرض التوحيد. ترابها نور التفريد، سقى من ماء اللطف من بحر التمجيد. حتى امتلأت عروقه من أنوار اليقين، وتولى الله غرسه، وبأشر ذلك بقدرته من غير واسطة. فغرسه فى جنة الرضى.

ثم عصم هذه البحور بسور الصون، وأرساه فى أزليته، وأبديته، وأوليته.

حتى لا تكاد تقترب منه بهيمة النفس بشهواتها أو بجهلها. أو سباع مفاوز الضلالة، أو شئ من الدواب التى هى طبائع النفس مثل كبرها، وحمقها، وآفاتها.

والرب - جل جلاله - صاحب هذا البستان، ووليه الذى أزين من جميع الجنان لأنه بستان الإيمان تولى الله غرسه، وسقيه، وتربيته. حتى أثمر الشجر

نور الإيمان، بتوفيق الرحمن، ولطائف ثمرات الإحسان. قال الله تعالى:
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(١).

فهذا تفسير اسم اللب. فإنه «لام وباء» فابتدأ بلام مثل لام اللطف. والباء مشددة، واحدة في الكتابة. لكنها من الحروف المضاعفة. فهي في الحقيقة اثنان. باء البر في البداية، وباء البقاء بالبركة عليه.

وهذا النور لا يوجد لسبب من الأسباب إلا بفضل مفتاح الأبواب. فأصل ما رزق الله تعالى العبد. من أصول الدين. هو فضل الله بلا علة. ثم جعل فروعه بعلّة العبودية.

ومجاهدة العبد مقرونة بمعونة الربوبية، وهداية الألوهية. ولا توفق مجاهدة العبد إلا بتوفيق من الله تعالى في الوقت، وحسن النظر قبل الوقت. بلطف التدبير، وحسن التقدير، حتى يكون أول شيء فضله في الأزل، فيتيسر على العبد أعمال الخير.

وأعلم. أن اللب لا يكون إلا لأهل الإيمان. الذين هم من خاصة عباد الرحمن. الذين أقبلوا إلى طاعة المولى، وأعرضوا عن النفس والدنيا فآلبسهم لباس التقوى، وصرف عنهم أنواع البلاء.

فسماهم الله أولى الألباب، وخصهم بالخطاب، وعاتبهم بأنواع العتاب، ومدحهم في كثير من الكتاب.

فقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

وقال: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾^(٤).

(١) سورة الحجرات. الآية رقم: ٧.

(٢) سورة المائدة. الآية رقم: ١٠٠.

(٣) سورة البقرة. الآية رقم: ١٩٧.

(٤) سورة الأنعام. الآية رقم: ٩٠.

وقال: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١).

وقال: ﴿وَلْيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلْيَذْكُرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

وقال: ﴿لْيَذْكُرُوا آيَاتِهِ وَلْيَتَذَكَّرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

فمدح الله تعالى أولى الألباب، وبين مراتبهم، وسرائرهم مع ربهم، وفضائلهم في فقههم، وفهمهم، وحلمهم. حتى أعجز أمثالنا عن إدراك أحوالهم. لأنه خصهم بنور اللب مالم يفعل ذلك بغيرهم.

وأما عند عامة أهل الأدب، ومن لهم معرفة بشيء من اللغة فإن اللب هو العقل.

ولكن بينهما فرق. كما بين نور الشمس، ونور السراج. فكلاهما نور. وهذا شيء ظاهر.

لأنك لا تكاد ترى عاقلين يستوى سلطان عقلهما ونورهما. بل يتفاضل أحدهما على الآخر، بزيادة خص هذا العقل بها. ما لم يبن ذلك في الآخر.

فما ظنك بمن خصه الله تعالى بمعرفته، وأكرمه بلطائف بره، وأفاض عليه من بحار خيره. مالم يفض منها على غيره.

والعقل في الاسم واحد. وسلطانه ناقص وزائد. وهو متبوع متفرع. يقوى بقوة أركانه ويزداد بزيادة سلطانه.

وأول مقام العقل. هو عقل الفطرة. وهو الذى يخرج به الصبى والرجل من صفة الجنون. فيعقل ما يقال له. لأنه يُنْهَض ويؤمر. ويميز بعقله بين الخير والشر، ويعرف به الكرامة من الهوان، والربح من الخسران، والأبعد من الجيران، والقربة من الأجانب. ومنه عقل الحجة. وهو الذى به يستحق العبد من الله تعالى الخطاب. فإذا بلغ الحلم يتأكد نور العقل الذى وُصف بنور التأييد، فيؤيد عقله. فيصل لخطاب الله تعالى.

(١) سورة البقرة. الآية رقم: ٢٦٩.

(٢) سورة إبراهيم. الآية رقم: ٥٢.

(٣) سورة ص. الآية رقم: ٢٩.

ومن عقل التجربة، وهو أنفع الثلاثة وأفضلها. لأنه يصير حكيماً بالتجارب. يعرف ما لم يكن بدليل ما قد كان. وهو ما قال رسول الله ﷺ: «لا حكيم إلا ذو تجربة ولا حليم إلا ذو عثرة»^(١).

ومنه عقل موروث. وصفته أن يكون الرجل كبيراً، عاقلاً. حكيماً، عليمًا، حليماً، وقوراً. قد ابتلى بولد سفيه، أو تلميذ سفيه، لا ينتفع من صحبته. فيموت هذا العاقل. فيورث الله تبارك وتعالى ببركته، عقله، ونوره، وضيائه، ونفعه، ووقاره، وسكينة، وسمته. لهذا السفيه. فيتغير حاله في الوقت. فيصير وقوراً عاقلاً على سبيل سلفه.

وهذا إنما يعاينه الإنسان ب وفاة الكبير العاقل، وتغير الحال في السفيه الجاهل. وليس يورث غير عقله. ولكن تدركه بركة دعائه، ونور علمه. ويتفضل الله تبارك وتعالى بتمام ذلك بمنه وكرمه.

وهذه الوجوه منافعها على المتدار، ويصلح الإنسان بهذه الوجوه من العقل لصحبة الناس، ويتنفعون به.

ولعل هذه الوجوه تُجمع فيمن لا يؤمن بالله واليوم الآخر. مثل: الفلاسفة، وحكماء الهند، والروم، وغيرهم^(٢).

لأن هذه الأنواع من العقل إنما هي لتأييد النفوس، ومعاملة أهل الدنيا على سبيل المראה.

وأما النافع منها تمام النفع. فهو العقل الموروث المطبوع بنور هداية الله تعالى. وهو اللب الذي وصفته حديثاً. . ويسمى عقلاً.

والعقل يعبر به عن العلم على وجه المجاز في سعة اللغة. ولكن أولوا الأبواب هم العلماء بالله.

(١) رواء البخارى تعليقا عن معاوية: «لا حكيم إلا ذو تجربة» (جـ ٣ ص ١٤٦)، وفي الادب المفرد (جـ ٢ ص ٢٧). وأخرجه الترمذى (جـ ٦ ص ١٨٢). والحاكم فى المستدرک (جـ ٤ ص ٢٩٢).

(٢) من الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

وليس كل عاقل عالماً بالله. وأما كل عالم بالله فهو عاقل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(١).

والعقل له أسماء أخرى. يسمى: حلماً، ونهى، وحجراً، وحجى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾^(٢).

وقال: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ليلينى منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم»^(٤).

وقد قيل: إن العقل يعقل النفس عن متابعة الهوى. كما يمنع العقل الدابة من مرتعها ومرعاها.

والعقل اسم غير متبدل. وهو اسم عام، ولا يستعمل تعريف هذه الأسماء إلا منه. يقال: عقل يعقل عقلاً، فهو عاقل، وذلك معقول عنه.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٥). وهو أن يعقل عن الله أمره، ونهيه، ومواعظه، ووعده، ووعيده. ويفهم مراده فى الأشياء على قدر ما يوفقه، ويكشف له من تعظيم أمره، واجتناب مناهيه.

وهذه كلها لا توجد إلا بلطف الله، وحسن نظره إليه. فيفضله على غيره باللب الموصوف، والنور المعروف. وهو فقيه فى أصول الدين وفروعه.

وليس كل من يكون فقيهاً فى الفروع فقيهاً فى الأصول. لأن الفقه فى علم الأحكام كثير. وهوفقيه بالتفقه. وهو حامل الفقه والعلم. والفقه اسم للعلم. يعبر بهذه اللفظة عنه. يقال: فلان يتفقه ويتعلم.

(١) سورة العنكبوت. الآية رقم: ٤٣.

(٢) سورة طه. الآية رقم: ٥٤، ١٢٨.

(٣) سورة الفجر. الآية رقم: ٥.

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه (برقم ٤٣٢)، وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٤٤٥).

(٥) سورة النحل. الآية رقم: ٦٧.

وأما الفقه في الحقيقة فهو فقه القلب. كما قال رسول الله ﷺ: «رب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(١).

وقال الحكيم: «ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة، والرضا مصيبة».

وقال الحسن: «إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، البصير بذنبه، المواظب على طاعة ربه».

وقد بينت في صدر الكتاب: أن فقه المتعلم موضعه في باطن الصدر، ويزداد نوره بالتعلم والاستعمال، ويتفرع له أنوار الفقه والفهم، ويستنبط بنور فقهه مسائل، ويقيس مالم يعلم بما يشبهها، ويقرب من معناها.

وأما الفقه في الدين. فهو النور الذي يقذف الله تعالى به في قلب عبده المؤمن. مثل: السراج. يبصر به ولا يكون ذلك للكافر والمنافق.

قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٢).

وأما الفقيه الذي نور الله قلبه بنور البصر. فالذي أشار إليه رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبدا خيراً خيراً ففقهه في الدين وبصره عيوب نفسه، وبصره بداء الدنيا ودوائها»^(٣).

فمن جمع الله تعالى فيه كلا الفقهين. فهو الكبريت الأحمر، والعالم الأكبر، والليبي الأوفر.

فأما استنباط الفقيه في الأحكام. فهو استنباط المسائل على موافقة السنة، وإقامة الشريعة.

وأما استنباط الفقيه في باطن العلم. فهو استنباط الخواطر على موافقة الحقيقة، ومشاهدة الربوبية.

(١) رواه المنذرى في الترغيب والترهيب (ج١ ص ٣٢)، ورواه أحمد في المسند. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج١ ص ١٣٩) رجاله موثقون.

(٢) سورة المنافقون. الآية رقم: ٧.

(٣) أخرجه أوله البخاري ومسلم وابن ماجه وأبو يعلى ورواه فيه «ومن لم يفقه لم يبال به».

وأورده الحافظ المنذرى «انظر المتقى من كتاب الترغيب والترهيب (ج١ ص ٢٥).

ولما تبين زيادة الفضل بينهما فى استنباط معنى فى الباطن والظاهر لأية
قد أنزلها الله تعالى. يوجب ظاهرها حكماً، ويكون تحت ظاهرها من العبارة
التي فى باطنها إشارة، وعلم.

فيستنبط الفقيه ما يوافق حجة الله تعالى، ويستنبط الحكيم ما يوافق مراد
الله تعالى، ويهذى إلى محجته. بما تبين من لطائف الإشارات، موافقا
للتوحيد، ومخبراً عن مراد يوافق الحميد.

الفَصْلُ السَّادِسُ

[فى أنوار القلب]

والأنوار التى وصفتها فى صدر الكتاب . مثل نور الإسلام ، ونور الإيمان ، ونور المعرفة ، ونور التوحيد . وإن كانت أسماؤها مختلفة . فهى أشكال غير أضداد .

ويتولد من كل نور منها فوائد على حدة ما لا يتولد من الآخر على قدر مراتبها .

فنور الإسلام يتولد منه خوف ورجاء .

ونور التوحيد يتولد منه خوف ورجاء .

ونور الإيمان يتولد منه خوف ورجاء .

ونور المعرفة يتولد منه خوف ورجاء .

وكذلك سائر الأحوال التى تهيج من القلب ، وتتولد من أنوار الباطن . مثل : الشكر ، والصبر ، والمحبة ، والحياء ، والصدق ، والوفاء ، وغيرها .

ولكن أشرحُ بتوفيق الله تعالى . هذا الفصل الواحد .

فأعلم . أنه يتولد من نور الإسلام خوف الخاتمة ، ورجاء حسن العاقبة .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(١) .

وقال فى قصة يوسف عليه السلام : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ ^(٢) .

ويتولد من نور الإيمان خوف طوارق السوء . وكذلك يتولد منه رجاء طوارق الخير فى كل وقت .

ونور المعرفة يتولد منه خوف السابقة ، ورجاء السابقة .

(١) سورة البقرة . الآية رقم : ١٣٢ .

(٢) سورة يوسف . الآية رقم : ١٠١ .

ونور التوحيد يتولد منه خوف الحقائق، ورجاء الحقائق.
 وهذا النوع يرجع خوفه إلى مشاهدة الربوبية. وهو أن يخاف الله تعالى،
 ولا يخاف سواه، ويرجوه ولا يرجو سواه.
 وسائر الأحوال التي ذكرتُ شرحها على هذا السبيل الذي وصفت لك.
 ومثل هذه الأنوار كمثل الجبال.
 فالإسلام جبل وأرضه الصدر.
 والإيمان جبل وموضعه القلب.
 والمعرفة جبل ومعدنها الفؤاد.
 والتوحيد جبل ومستقره اللب.
 وعلى رأس كل جبل طائر.
 فطائر جبل الصدر: النفس الأمارة بالسوء.
 وطائر جبل القلب: النفس الملهمة.
 وطائر جبل الفؤاد: النفس اللوامة.
 وطائر جبل اللب: النفس المطمئنة.
 فالنفس الأمارة يكون طيرانها في أودية الشرك، والشك، والنفاق، وما
 يشبهها. ولكن رحم ربي أوليائه فحفظهم عن شرها. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ
 النَّفْسَ لَأَمَّارَةً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^(١).
 والنفس الملهمة. يكون طيرانها في أودية التقوى أحيانا. وفي أودية
 الفجور أحيانا. قال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٢).
 وطائر جبل المعرفة. هي النفس اللوامة. ويكون طيرانها في أودية الترفع،
 والعز، والنظر في كرامات الله، والافتخار، والفرح بنعم الله أحيانا وفي
 أودية الافتقار، والتواضع، والارذاء بنفسها، ورؤية الذل، والمسكنة، والفاقة
 أحيانا.

(١) سورة يوسف. الآية رقم: ٥٣.

(٢) سورة الشمس. الآية رقم: ٨.

ومع ذلك تكون لوامة لصاحبها فى أحوالها. قال الله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ
بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾^(١).

وطائر جبل اللب: النفس المطمئنة ويكون طيرانها فى أودية الرضا،
والحياء، والقرار على التوحيد، ووجود حلاوة ذكر الله تعالى. وهى شكل
الروح. طيبها الله عن خبث المناورة. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ
ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ...﴾^(٢). وقال: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَّعِيمٌ﴾^(٣).

ولفظ اسم النفس. تشمل هذه المعانى - كما ذكرنا - فى معنى اسم
القلب. وهو مثل قول الله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(٤). والمعنى: أهل القرية.
وقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾^(٥). يريد بذلك أهل القرية.

فكذلك القلب مضغة لحم، والمراد ما فيها. وكذلك النفس، والمراد ما فى
داخل الجسد من النار والنور.

والنفس اسم الجنس. وجوهر بعضها أطيب من بعض. وبعضها أخبث
من بعض، وأشد ظلمًا، وأكثر فجورًا. وهى النفس الأمارة.

والنفس طابت بنور ظاهر الإسلام، من خبث ظاهر النفس، وهى تزداد
طيبا بصدق المجاهدة. إذا قاربها بتوفيق الله تعالى. قال رسول الله ﷺ فى
دعائه: «نعوذ بالله من شرور أنفسنا»^(٦).

فتعوذ رسول الله ﷺ مع ماخصه الله تعالى بأنواع من الكرامات،
وطهارة فى النفس، والنية. قال: «كان لى شيطان إلا أن الله أعانى عليه
فأسلم»^(٧).

(١) سورة القيامة. الآية رقم: ٢.

(٢) سورة الفجر. الآية رقم: ٢٧، ٢٨. والآية: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

(٣) سورة الواقعة. الآية رقم: ٨٩.

(٤) سورة يوسف. الآية رقم: ٨٢.

(٥) سورة يونس. الآية رقم: ٩٨.

(٦) هذا جزء من مقدمة خطبة النبى ﷺ فى حجة الوداع. انظر: السيرة النبوية لابن كثير (ج٤ ص ٤١٥، ٤١٦)

وانظر: زاد المعاد لابن القيم (ج١ ص ٢٤٩).

(٧) بعد البحث والمراجعة لم نقف عليه.

والنفس جوهرها ريح حارة مثل الدخان. ظلمانية، سيئة المعاملة، وروحها في الأصل نورانية، وتزداد صلاحًا بتوفيق الله تعالى مع حسن المعاملة، وصحة التضرع. ولا تزداد صلاحًا إلا بمخالفة العبد هواها، والإعراض عنها وقهرها بالجوع والشدائد.

والنفس اللوامة هي أقرب إلى الحق. لكنها مخادعة، مدهنة. لا يعرفها إلا العارفون من الأكياس.

والنفس المطمئنة هي التي طهرها الله من خبث الظلمات. فصارت نورانية فاشكلت الروح. تمشي في طاعة الله، منقادة من غير إباء منها. فصارت مطيعة بطاعة الله. وهي نفس الصديق الذي ملأ الله سره وعلايته. إنما شبهت هذه الأنوار بالجبال، لأن نور الإسلام في صدر المسلم أكد، وأحكم من أن يزيله أحد. ما دام الله تعالى يحفظه. حتى لا يتهيأ لأحد أن يزيل نور الإسلام من صدره^(١).

وربما لم يستقم المسلم على الطاعة. وهو مع ذلك متمسك بالعروة الوثقى. ولكنه لا ينجو من وسوسة النفس.

وجبل نور الإيمان أرسى، وأعظم، وأرسخ، وأثبت من نور الإسلام. لأن للنفس ولاية وتكلفا في حفظ الإسلام، واستعمال شرائعه. وليس لها تكلف في حفظ القلب.

ومثبه نور الرب جل جلاله. قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢).

وقال رسول الله ﷺ في مدح هذه الأمة: «الإيمان في قلوبهم كالجبال الرواسي»^(٣). وهو موضع علم النفع.

(١) ولذلك شبه نور الإسلام بالجبل.

(٢) سورة إبراهيم. الآية رقم: ٢٧.

(٣) بعد البحث والمراجعة لم نقف عليه.

ونور المعرفة أوسع، وضياؤها أرفع. لأنه معدن الرؤية. والرؤية أكد من الخبر لأن. «الخبر ليس كالمعاينة»^(١).

ونور التوحيد هو أعظم الجبال. ومثله في الجبال كمثّل جبل قاف^(٢) عند سائر الجبال.

فجبل نور الإسلام تنتهى حدوده إلى مجاهدة النفس، وصالح أعمالها. وأهل الإسلام هم في درجات متفاضلون.

وجبل نور الإيمان تنتهى حدوده إلى التوكل، والتفويض.

والمشاهدة أجل مالم ير النفس والاعتبار بما قد رأى، والنظر بنوره إلى ما غاب عن الأعين.

وأهل الإيمان في أصل الإيمان متساوون.

وفى مشاهداتهم، وما يتولد فى أنواره من ثمرات الإيمان وفروعه متفاضلون.

وجبل نور المعرفة تنتهى حدوده إلى إحاطة العلم بالبقاء، والفناء، والعجز، والقدرة. وتنتهى إلى مشاهدة بر الله تعالى، ولطائفه.

فبهذا النور يعرف الفانى، والزائل. وحقارته، ودناءته.

ويعرف الباقي. وقدرته، ورفعته.

ويعرف عجز الخلائق وضعفهم.

والعارف فى هذا المثل. كأنه جبل الله. استقرت معرفته، برؤية عظمته، وكبريائه، وقدرته.

ويمسكه ربه فلا يزول بإصابة حادثة، ولا ينتقل بإصابة محنة. لأن الله تعالى يمسكه بقدرته، وبرحمته.

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) إشارة إلى جبل بعيد.

ومعنى العين من «عرف» كأنه علم وعرف عزة الله، وعظمته، وعلوه، وعلمه. فذلت نفسه عند رؤية عزته، وتصاغرت عند رؤية عظمته، وتلاشت عند رؤية علوه.

ومعنى الراء من «عرف»: رأى ربوبية الله تعالى، ورأفته، ورحمته، ورزقه. فوثق به، وآمن به، واعتمد على رأفته، ورجا من رحمته، ورضى بالله ربا ومديرا.

ومعنى الفاء: فقه فى الدين لله تعالى، وفهم مراده، وفارق كل فان، وفر من كل فتنة إلى الفتح العليم، وفاق نور قلبه الباقي على كل شيء فان. ووجه آخر: معنى العين: عرى قلبه عن النظر إلى غير ربه فألبسه تعالى لباس التقوى. حتى عاود القلب ملازمة باب مولاه.

ومعنى الراء: رأى قلبه كل شيء كما خلقه الله تعالى. ومعنى الفاء: فرأى الفانى كأنه قد فنى. حتى انفرد للفرد الذى هو مولاه.

ووجه آخر: معنى العين: أنه عزت نفسه بالإيمان، والراء: راحت روحه بارتياح ذكر الرحمن. والفاء: فتح الله تعالى قلبه بالفقه فى علوم القرآن. ووجه آخر: عشقت نفسه، ورق قلبه، وفاق روحه.

ووجه آخر: عبد أعانه ربه، فرأى بعونه، ما غاب عن عينيه، وكشف له عن معانى الأشياء. ففارق النفس والخلق بقلبه، فقام بربه لابقوة نفسه. مكشوف به سره، مشغول بربه. قد أثره على ما دونه. فإنه عرف أنه أكبر، وأجل، وأعظم، وأعز، وأكرم، وأعلى، وأعلم، وأغنى، وألطف.

فغرق نور فؤاده فى مشاهدة عظمته. وهو فى بحر فوائد الله تعالى لا ينتهى مددها، ولا يبلغ غوره أحد.

فهذا أقل علامة من علامات الغارف. لأن العارف لا يدركه فى أحواله ريح عاصف، ولا يتصل به برق خاطف، ولا يخبر عنه وصف واصف. ويطوف حول سره من الله تعالى فى كل وقت من بر الله تعالى، ولطائفه، ورحمته، وكرامته، وعظمته، وفوائده، ونعمه. . لا ينقطع عنه أدنى طرفة عين من الله أنواع اللطائف.

فهو عارف لله، وعند الله نفسه وغير عارف بما ينكر من نفسه من أخلاقها السيئة، ومن عيوبها. وله من أقواله، وأفعاله حكمة. وهذا كله إنما يتبين له من بحر فضله.

ويثبت على هذه المرتبة العظيمة جبل نور التوحيد الذى هو الجبل الرابع. وهو على مستقر اللب. وهو الجبل الذى لا غاية لعلوه، ولا نهاية لعظمته. وهو معدن جميع الخيرات، والبحر الذى يخرج منه كل خير، ويرجع إليه كل خير، ولا يتهى لأحد من الخلق وصف نوره بلسان العبارة إلا على مقدار ما يوفق ويسر.

واعلم - ايدك الله - أن هذا عبد أخذ نور التوحيد فأحاط به حتى أغرقه فى بحر. فصار نور التوحيد على وجه المثل كالشمس - فهى أطول فى الصيف وأشد حرا - طلعت عليه حتى بلغت موضعها من الزوال وهو أعلى موضع فى أيام الصيف ترتفع الشمس إليه.

وليس فى السماء غيم، ولا علة حاجزة لنورها، ولا سبب مانع لحرها. وضياؤها من ظلمة.

وليس بينها وبين هذا العبد شئ. حتى أحاطت برأسه فأحرقت الشمس بحرها، وغيرت حاله مألوا وطبعا.

ولا يرى لشخصه ظلا من ارتفاعها، وعلو مكانها إلا عند قدميه، ولا تستقر قدماء على الأرض من شدة الحر إلا على الضرورة. فكيف يكون هذا الموحد الذى أقامه الله تعالى مقام التوحيد بحوله وقوته.

وهو مقام من يحسُّ به أسد فيقتله، ويأكله. وقد استيقن بهلاكه. ليس له معتمد، ولا كاف، ولا مستغاث.

فما أقرب حال صاحب هذا المثل من حال الموحد. فهذا إنسان حيٌّ عند الناس وهو عند نفسه ميت بقربه من ربه. لأنه بقى فى ظلمات حد الإدراك لا يدرك كيفية التوحيد.

..... نور التوحيد وأحاطت به سرا وعلانية.

وقد ضل هذا العبد طريق التكيف. فليس له تكلف فى الأمور. وقد قام بترك الاختيار. وصارت عبوديته أسيرة فى قبضة عزة الرب جل جلاله. وهو يخاف من الشرك الخفى فى سره فى لحظة.

وهو ينظر بقلبه من ربه إلى خلقه كيلا يلتفت إلى غيره من خلقه أو إلى نفسه أو إلى حركته أو إلى حد التعطيل.

حتى يرى عجزه عن إدراك ربوبيته، أو إلى حد التشبيه حتى يرى نفسه غريقا فى بحر التوحيد. وهو بحر عظيم عميق لا يرى شطُّه ولا منتهى لغوره.

وهو ريان عطشان، جوعان شبهان، عريان مكتس، بصير أعمى، عالم جاهل، عاقل أحمق، وحليم أخرق، وغنى فقير، وقادر عاجز، وصحيح مريض، وحى ميت، وباق فان، وبعيد متدا، وقوى متوان، ومشته بلا أمان.

فهذه صفة العالم الربانى، والعارف الروحانى، والسابق النورانى. ليس كالجاهل الظلمانى، ولا علمه نفسانى.

ولو زدتُ فوق هذا الشرح فى حال الموحد أخاف أن يكون فتنة على من عافاه الله من هذا البلاء، وغرق فى ظلمات المعاصى، والشهوات، وحب الدنيا عن مشاهدة لطائف المولى.

فإن هذه الأشياء معافاة عن الشرك، والشك، وحبط دون المولى. وهو فى أشد البلاء. كما وصفتُ لك شيئا منه.

وقد قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس في الدنيا بلاءً الأنبياء. ثم الأمثل فالأمثل»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولحسنتم التراب على رؤوسكم»^(٢).

وأخبر عليه السلام: «من يشاهد الله تعالى وكبريائه في أشد البلاء»^(٣).

وقال عليه السلام: «إذ رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية»^(٤).

فتفكر - رحمك الله - في حال من وقع عليه هذا البلاء، ونزع عنه لباس العافية. فكيف يكون عيشه..

أما بلغت ما كان رسول الله ﷺ فيه في كل حال وفي كل وقت؟ إذا شرع في صلاته: سمع له أريز كأريز الرجل^(٥). وكان يتغير لون وجهه إذا هاجت ريح، وظهرت حادثة^(٦).

ولكن الغفلة فينا حجبتنا عن مشاهدة ما شاهد أهل المعرفة، وملأت خواطر قلوبنا عن مثل هذه الحالات.

وقد ذم الله تعالى أقواما فقال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(٧).

وهذا العبد الذي غرق في نور التوحيد، واشتد بلاؤه. فهو في عيش رغد. طابت حياته مع ربه. قال الله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(٨).

(١) رواه الترمذى في الزهد ورقم الحديث (٢٤٠٠) وقال: حديث حسن صحيح. ورواه ابن ماجه فى الفقه (برقم ٤٠٢٣) ورواه ابن حبان.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (ج٦ ص ١٣٠). وابن الجوزى فى زاد المسير (ج٨ ص ٨٢). (٣) لم نقف عليه.

(٤) أخرج نحوه الترمذى حديث (رقم ٣٤٢٧، وحديث رقم ٢٤٢٨) وأورده الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب: انظر: المنتقى من الترغيب (ج٢ ص ١٠٤٥).

(٥) انظر الفيروزابادى سفر السعادة. تحقيق الدكتور أحمد السايح والدكتور عمر يوسف حملة ط مركز الكتاب للنشر بالقاهرة.

(٦) لم نعثر عليه فيما لدينا من مصادر.

(٧) سورة الروم. الآية رقم: ٧.

(٨) سورة النحل. الآية رقم: ٩٧.

فهذا العبد قد نسي الحلاوات كلها عند حلاوة ذكره، وطاعته، ومعرفته، ومحبته .

وقد قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان مَنْ رضى بالله رباً» إلى آخره^(١).

وقال عليه السلام: «ثلاث مَنْ كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. ورجل كره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار. ورجل أحب عبداً لم يحبه إلا لله»^(٢).

وليس هذا موضع شرحها. فهذا عبد سقاه الله من بحر الهدى شراباً، ووجد حلاوته. فهو كالمجنون عند الناس. وقد زين الله تعالى بأحسن اللباس، وعصمه من شر الوسواس، وفضله على كثير من الناس.

ولا تدرك أحوال هذا الموحد بالنظر والقياس، وخصه الله تعالى بقوة من عنده فى جمع أحواله، بما لا يدرك ذلك بالعقول والحواس.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣).

وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(٤).

وقال: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾^(٥).

فما ظنك - رحمك الله - بمن كان الله وليه، وناصره، ومعينه، ومؤيده. . هل تدرك حقيقة أحواله بحاسة العقل؟

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (ج٢ ص٢) فى كتاب الإيمان . والحديث «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً».

(٢) حديث صحيح.

(٣) سورة البقرة. الآية رقم: ٢٥٧.

(٤) سورة محمد الآية رقم: ١١.

(٥) سورة الاعراف الآية رقم: ١٩٦.

أما رأيت إنكار الضالين كرامات الأولياء^(١)، ومعراج النبي ﷺ^(٢). إذ نظروا إليها من أهوائهم وسموها عقولا.

وزعموا أن عقولهم لاتقبل هذه الأشياء. ولايصح مثل هذا من طريق المعقول. فكل مالا تقبل عقولهم فذلك باطل.

فيأخى: كيف تدركُ بآلة، مخلوقة، محدثة، مركبة: ربوبية خالق،قدير، رب، عالم. يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد؟

ومتى يدركُ شيء، يزيد وينقص، ويتقارب، ويتفاضل: ربوبية رب،لايزيد، ولاينقص، ولايتغير حاله؟

بل العقل حجة من الله تعالى على العبد. وهو آلة، مركبة. لإقامة العبودية. لا لإدراك الربوبية.

ومن عجز عن إدراك أشياء فى نفسه، مخلوقة فيه، ولم يدرك حقيقتها علما إلا بالظن، والخيال. مثل: النوم، وأحوال القلب، وطبائع النفس، والروح ولايعرف حقيقة النفس أى شيء هى. ولا يعرف حقيقة العقل الذى يدعى أنه يعرف به كل شيء. فكيف يكون له سبيل الإدراك إلى ما هو أعلى منه؟

بل البصواب التسليم للحكم، والاستسلام للرب، والرجوع إلى الحق. وهذا الموحّد الذى وصفه الله تعالى بقوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٣).

فهذا صاحب القلب فى الحقيقة. لأن حافظ قلبه ربه عز وجل ولأن من وكلّه الله إلى حفظ قلبه راغ قلبه. ومن حفظ قلبه ربه فقد وقع من الشغل فى فراغة.

(١) أهل السنة أثبتوا الكرامات للأولياء.

(٢) معراج النبي ﷺ: عز وجهه إلى السموات العلا. وهناك رأى من آيات ربه الكبرى. رأى جبريل على صورته الحقيقية التى خلقه الله عليها، وصعد به إلى سدرة المنتهى، وجاور السبع الطباق وكلّمه الرحمن وقربه.

(٣) سورة ق. الآية رقم ٣٧.

والناس يعظمون هذا الإنسان لأنه رفيع المقدار: وقد وضع هوى نفسه، وأوزارها، وصارت نفسه لنور قلبه كالمرآة لعينه.

ينظر بنور قلبه إلى نفسه فيعرفها، فيصل بمعرفتها إلى معرفة ربه جل وعلا. قال الله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١). وقال عليه السلام: «من عرف نفسه عرف ربه»^(٢).

وهذا إنما يكون للمبتدى في أوائل أمره، وسلوك طريقه. وأما إذا اتصل بنور الحق، وقوى بقوة الحق. تلاشى عند سلطان عظمته قدر من دونه من خلقه، وبطل عند ظهور حقه مقدار جميع خلقه.

وقد وصف الله مثلاً من نور قلب المؤمن على سبيل المثال. فقال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا﴾ إلى قوله: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣).

فمن تفكر بتوفيق الله بإدراك شيء من معنى بيان هذه الآية. فإن من أول الكتاب إلى آخره. ما يدل على شرح معنى هذه الآية.. والله أعلم.

وقال بعد هذا: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(٤).

وأسماء مقامات السر مثل الصدر، والقلب. هي عبارة باللسان. وإنما حقيقتها إشارات إلى الأنوار. وقد وضعها الله من خزائن نوره.

ألا ترى ما قال رسول الله ﷺ: «فراصة المؤمن لا تخطئ».

«والمؤمن ينظر بنور الله تعالى»^(٥).

(١) سورة اللّٰوِيَات. الآية رقم ٢١.

(٢) قال النووي ليس بثابت. وقال ابن تيمية إنه موضوع. وقال أبو البصير السمعاني في القواطع: إنه لا يعرف مرفوعاً وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي. وهو في كتب الصوفية يسوقونه مساق الحديث. (انظر الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني: كشف الخفا ج١ ص ٣٦١ ط حلب سوريا).

(٣) سورة النور. الآية رقم: ٣٥. والآية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

(٤) سورة النور. الآية رقم: ٤٠.

(٥) أخرجه الترمذى (٥٥٥/٨) وقال: هذا حديث غريب، والبخارى في التاريخ، وابن جرير (٣١/١٤).

وقال: «ليفتك قلبك»^(١).

وقال: «زاجر الله في قلب كل مؤمن. وواعظه في قلب كل مؤمن»^(٢).
وأعلم يا أخى.. أن قوام الخلق كلهم بالله تعالى: فما ظنك فيمن تولاه
الله تعالى خصوصاً، واكتنفه بكنفه، وجعله من خاصته وأهل ولايته.
ومن لم يمت لا يرى القيامة إلا أن يموت. كما قال رسول الله ﷺ: «من
مات فقد قامت قيامته»^(٣).

ومن مات وخرجت روح نفسه، وانتقل بروحه من الدنيا إلى الآخرة
عابن الآخرة وما فيها.

فكذلك من مات بمعناه، وحى بمولاه. علم أنه لا يملك لنفسه ضراً، ولا
نفعاً، ولا موتاً، ولا نشوراً.

فقد كشف له غطاء غفلته، وقامت قيامته. وصار حياً بمولاه. لأنه
اكتنفه، وتولاه، وأيد قلبه، وأحياه. فشاهد بنور الحق، ما لم يشاهد غيره.
وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾^(٤).

وقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾^(٥).

ومن قتله الكافر في سبيل الله، جعله الله حياً بكرامته شهيداً. فما ظنك
فيمن قتله نور المحبة ونار خوف الهجران، ونار مخالفة الهوى، ونور موافقة
الحق، ونار الاشتياق، وقتل نفسه بسيف التوحيد. فصار حياً لله عز وجل.
والحياة التى يفهمها العامة على وجوه:

(١) حديث حسن رواه الإمام أحمد في مسنده، والدارمي في مسنده عن النواس بن سمعان. انظر: شرح الجردنى على
الأربعين النووية (ص ١٨٨ - ١٨٩).

(٢) انظر: شرح الجردانى على الأربعين النووية (ص ١٩٢ - ١٥٣).

(٣) لم نقف عليه.

(٤) سورة آل عمران. الآية رقم: ١٦٩.

(٥) سورة البقرة. الآية رقم: ١٥٤.

منها حياة النفس بالروح . وهى حياة الدواب ، والبهائم .
ومنها حياة القلب من ظلمة الكفر بنور الإيمان .
ومنها حياة النفس بالعلم . فإن العالم حى ، والجاهل ميت .
ومنها حياة العبد بنور الطاعة من ظلمة المعصية .
ومنها حياة التائب بنور التوبة من ظلمة الاضرار ، وبنور توفيق الله من
ظلمة رؤية المجاهدة .
ومنها حياة العبد برؤية منة الله تعالى عليه ، وحسن نظره إليه ، من ظلمة
النظر إلى العمل .

ثم منها مالا تحتمل ذكرها قلوب العامة .
قال الله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ ^(١) .
وقال : ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ ^(٢) .
وقال : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ ^(٣) .
وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ ^(٤) .
فكل حى ممن خلق الله تعالى إنما سمي حيا بالروح . والروح عبارة عن
النور الذى به أحيا الله الخلق . وهو كما ذكر الله تعالى . أن الروح من أمره ،
وقوام الروح بالله ، والنفس قائمة بالروح .
فمن فهمه الله تعالى هذا المقدار ، فهم ما وراء ذلك . بتأييد الله وتوحيد
الله ، وتوفيقه . من حياة القلب بروح الحكمة ، وروح الصدق ، وروح المحبة ،
وروح الولاية ، وروح الشهادة ، وروح الرسالة وروح الكلام ، وروح الخلقة .

(١) سورة الإسراء . الآية رقم : ٨٥ .

والآية الكريمة : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(٢) سورة المجادلة . الآية رقم : ٢٢ .

(٣) سورة غافر . الآية رقم : ١٥ .

(٤) سورة الشورى . الآية رقم : ٥٢ .

فحياة الصدر بروح الإسلام.

وحياة القلب بروح الإيمان.

وحياة الفؤاد بروح المعرفة والمشاهدة.

وحياة اللب بروح التوحيد، والانفصال عن القوة والحول، والاتصال بالحق. ومثل صاحب هذا الطريق في ابتداء أمره. كمثل رجل احتوته ظلمات الليل، وأحاطت به في بيت مظلم.

فأعطى سراجاً. فاستضاء بنور ذلك السراج.

ثم فتحت كوة بيته وبابه فوق نور القمر. فاستأنس به واستبشر حتى خرج إلى الصحرَاء. فاستغنى بنور القمر وضياؤه عن ضوء السراج.

فبينما هو فرح كذلك إذ أسفر الصبح. فغلب نور النهار وسلطانه نور القمر. فاستبشر. فإذا هو قد طلعت الشمس، وجعل نورها وضياؤها يزداد إلى أن يبلغ أعلى درجاتها.

فمثل البيت المظلم هو النفس الجاهلة بظلماتها، ونور السراج فيها نور العقل. ثم يزيد هذا العقل كطلوع القمر بأنوار الشريعة وعلم السنة. ثم يزيد بنور صفوة المعرفة، وهي كطلوع الصبح.

ثم يزيد برؤيته من الله تعالى. وما سبق له من الله من الحسنى، في الوقت ظاهراً وباطناً، ولطائف صنعه وحكمه.

ثم يزيد بنور التوحيد، وهي طلوع الشمس. ثم يرتفع ويزداد ضوءها ونورها، وسلطانها، ومنافعها برؤية حقائق آثار قدرته، ولطائف ربوبيته.

وإذا اكتملت أنوره، واجتمعت. خاف العبد من زوالها، وخشى من انتقالها، ولم يأمن تغيير حالها.

فصاحب هذا المقام يخاف من فراق هذا النور، وزوال هذا السرور أشد مما يخاف هذا المستأنس بنور الشمس من زوالها وغروبها وقد قال القائل:

طلعت نور شمسه فى القلوب وأضاءت فمالها من غروب
يتباهون بالحبيب فكل أخذ من حبيبه بنصيب
ومثل نظرالعبد إلى أعماله، وأفعاله، وأحواله. كمثّل رجل أسرج سراجاً
كما وصفنا.

ثم اتصلت له هذه الأنوار التى وصفتها. فهل ينظر إلى السراج بعد ما
ظهرت له هذه الأنوار؟ لا. بل يشكر لمن وفقه للأعمال.
وكذلك الموحّد رأى سره معاينة بحقائق الإيمان، ومشاهدة بنور هداية
الرحمن. أثار عظمة الله، وقدرته، وجلاله، وكبريائه، وفردانيته.
فلم يلتفت إلى عمله، ولم يعتمد عليه، واعتمد على الله، وغرق فى
أنوار مشاهدة منته، ولطائف رحمته، وشواهد رأفته.
فتبرأ من النظر إلى حركات نفسه، وأزرى بنفسه لما رأى من سوء
أخلاقها، وقبح مرادها.

ومثل آخر. أن الكواكب إنما يكون سلطانها فى ليلة ظلماء. فإذا طلع
القمر، وكانت ليلة البدر. غلب نوره نور الكواكب، وخفى أكثر النجوم.
فإذا أسفر الصبح، وطلعت الشمس. انطمست أثار الكواكب الباقية
وذهب نور القمر.
فما ظنك فى عمل النفس عند ظهور الربوبية بالتوفيق، والمعونة،
والهداية.

وهل يعتمد الموحّد على عمل مادام يرى لطائف ربوبيته، وسعة رحمته.
إذ العبد قائم بربه، غير مستغن عنه ظاهراً، وباطناً، لدينه ودنياه، طرفه عين،
ولا أدنى من ذلك.

فلما كانت الهداية، وأنوار الولاية، ولطائف حسن الرعاية، جملت،
وشملت، وكثرت، لم يبق النظر إلى حركات النفس، وأعمالها على سبيل ما
يرى فى كل لحظة، وطرفة، من لطائف الرب جل وعلا.

وأبين لك شيئاً من صفة هذه القلوب التى يتولاها ربها .

اعلم . . - رحمك الله - : أن قلوب أولياء الله تعالى ، خزائن الحكمة ، ومواضع الرحمة ، ومعادن المشاهدة ، وكنوز المعرفة ، وبيوت الكرامة ، ومواضع نظر الله جل جلاله إليها برحمته ، ومزرعة رأفته ، وأوانى علمه ، وأخبية حكمته ، وأوعية توحيده ، ومواضع فوائده ، ومساكن عوائده ، وأكنة أنوار من نوره .

ينظر إليها برحمته فى كل لحظة ، فيزيد أنوارها ، ويصلح أسرارها .

وقد زينها الله بنور الإيمان ، وأسسها بالتوكل على الرحمن ، وحشاها من لطائف الامتنان ، وبنى حيطانها من فوائد الإحسان ، وطيب أرضها بنور الحق والهدى . حتى طابت تربتها من خبث الشرك ، والشك ، والنفاق ، وسائر الفواحش .

فهذه الأرض . أرض المعرفة . ساقها الله من بحر الرضى حتى نبتت فيها من أنوار النفس ، وأيدها بحسن معالجة أصحاب البساتين ، وهم السادات من المتقين ، وأخرج أكامها بريح متابعة سيد المرسلين .

ورباها بالرياح الربانية : ريح الرحمة . . وريح الرأفة . . وريح الظفر . وما يشاكلها من رياح الربوبية .

وأنضج أثمارها بحر شمس المعرفة . وزادها بمضى ليل الافتقار ، ونهار الافتخار .

وأحسن لون فواكهها صبغة الله . وهى بيان أحكام الشريعة ، واستمسك العبد بالعروة الوثقى .

وطيب طعمها بالتمسك بسنة نبيه عليه الصلاة والسلام . ثم وضع سرير المحبة على أرض الحق ، المطيب ترابها ، بنور اللب ، المؤيد بنور التوفيق ، المغذى بغذاء التصديق ، المؤسس بأساس التحقيق ، المسدد بركنه الوثيق .

وبسط على هذا السرير الفرش الوثير من الحول والقوة، وألقى عليها من
نمارق التضرع والاستكانة، وجعل متكأه الاستقامة، واعتماده على الله: أن
يثبته على الحق، ولزوم الجماعة.

ثم أجلس على هذا السرير عبده، ووليه، مسروراً، مؤيداً، منصوراً. قد
ألبسه لباس التقوى، ونزع عنه ثياب التكلف والدعوى، وخلع عليه كرامته
من خزائن فضله، وشد أزره بمنته، وتوفيقه.

وتوجه بتاج ولايته، وغسله بماء بره، ورعايته، وزاده طهارة من بحر
هدايته، وأطعمه من حلاوة ذكره ومحبه، وسقاه شراباً طهوراً بكأس
التوحيد، من بحر التفريد. ممزوجاً بحلاوة وصلته حتى صار قائماً بالله،
غائباً سره عن سواه.

قد ذلت نفسه عند ظهور عزته، وتلاشت عن التكلف عند رؤية نصرته.
فقامت نفسه في خدمته كالعبد المحجور، أو كالمضطر المقهور أو كالأسير
المأسور.

ثم نظر إليه ربه نظرة رحمته. فنثر عليه من خزائن الربوبية نثار كرامات
الخصوصية.

حتى قام مقام حقيقة العبودية. فأغناه الله تعالى بذلك. ثم قرب به، وناداه،
وأكرمه، وسماه، ولطف به، ودعاه.

فأتاه حين سمع دعاه. فأيده الله تعالى، وقواه، واكتنفه وآواه. حتى
أجاب به ولباه، وفي السر ناداه، وفي كل وقت ناجاه، وصرخ إلى مولاه،
لا يعرف له ربا سواه.

فأعطاه سؤله ومناه، واصطفاه لخدمته وهداه، ولمحبته ارتضاه، ولمعرفته
اجتباه.

وأجرى بين يديه أنهار من الصدق، والصفاء، والتحقيق والحياء، والمحبة
والرضاء، والخوف والرجاء، والصبر والوفاء، والشكر والقضاء، والبقاء،

واللقاء، والافتخار، والافتقار، والتعظيم، وترك الاختيار، والنظر فى
الأقدار، ومشاهدة العزيز الجبار.

يزيده الله فى كل وقت من اللطائف. ما عجز الواصفون عن وصفه.
وهو فى قرب من مولاه، مستوحش من دنياه، اشتغل بالله عن النظر فى
عقابه.

فهو فى أرغد عيش مع مولاه. يخاف زوال هذا الحال، ويخشى حادثة
توجب الانتقال عن مقام مشاهدة الكبرياء والجلال.

وهو فى هذه الحالة كالأنيس المستوحش، وكالمستقر المستوفز، وكالمطمئن
المضطرب.

قد غرق فى بحر لا يرى شطه. وهو بحر التوحيد، ولا يتمنى النجاة من
هذا الغرق.

يتلذذ هذا الموحد كما يتلذذ المتلذذون من حلاوات الدنيا، ويألم من ألم
فراقه بما لا يألم أهل الأوجاع، والأمراض، والشدائد، والمضروبون بالسياط،
والمجرمون بالحديد. فعافاه الله من ألم الفراق، وجمع له كل عافية، وجمله
من عنده، وآمنه.

فسبحان من ألى على خاصة أوليائه، والمقربين من أصفياه بالآلاء
العظيمة. وأنعم عليهم بالنعماء الجسيمة، وعصمهم من الأهواء السقيمة،
ومنَّ عليهم بالقلوب السليمة، وسلك بهم سبيل المحجة المستقيمة فله الحمد
على دفع البلاء، وبذل العطاء، وزيادة النعماء وكرامة الهدى، ورفع الردى،
والتوفيق بالاعتداء بنبيه المصطفى وملة خليله المجتبى، وسنة رسول الله
المرتضى.

خاتم الأنبياء والرسل إلى أوضح السبل. ختم الله به النبوة، وبدر بمتابعته
إلى إقامة المروءة، وإحياء الفتوة، وقطع به الحجة.

وأرسله للعاملين رحمة، ودفع به كل نقمة، وأتم به النعمة.
إذ هو رسوله المصطفى صلى الله عليه وعلى آله أهل الصدق، والصفاء
وعلى أصحابه أهل المحبة، والوفاء.
وعلى أزواجه أهل العفة، والتقوى. وسلم.
ولا ملجأ، ولا منجاة منه.
وهو ولي كل مؤمن. ونعم المولى هو.
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

السفحة

الآية

- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ ٣٩
- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ ٥٦
- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ ٣٩
- ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ ٣٨
- ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ٤١
- ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ٧٢
- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ٢٦
- ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ٤٠
- ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ٢٥
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بَهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ ٢٨
- ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ٣٤
- ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ٣٠
- ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ ٦٤
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَأُولِي النُّهَى﴾ ٥٩
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٥٩
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ٧٣
- ﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا﴾ ٣٠
- ﴿إِنَّهُمْ رَجَسٌ﴾ ٤٠
- ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ٤٠
- ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ٣٩
- ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ٣٠

الصفحة

الآية

- ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ٢٨
- ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ ٣٤
- ﴿تَوْفِّي مُسْلِمًا وَآلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ٦٣
- ﴿ثُمَّ تَلِينَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ٤٠
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ ٧٢
- ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾ ٣٩
- ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ ٢٦
- ﴿شَیَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾ ٢٥
- ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٩
- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ ٥٦
- ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ ٤٨
- ﴿فَالْتَمِمْهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٦٤
- ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ٣٣
- ﴿فَتَخَبَتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ ٣٩
- ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ ٦٥
- ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ ٣٩
- ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ٦٣
- ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ ٢٦
- ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ ٢٦
- ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ ٢٨
- ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ ٧١

الصنعة

الآية

- ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ ﴾ ٦٥
- ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾ ٤٧
- ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ ٢٧
- ﴿ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ٢٧
- ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ ٤١، ٣٠
- ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ ٢٨
- ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ ٣٠
- ﴿ قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ ٤٨
- ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ ٧٦
- ﴿ قُلْ إِنْ تَخْضَعُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْنَ يَعْلَمَهُ اللَّهُ ﴾ ٣٣
- ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ٤٦
- ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ ٥٣
- ﴿ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ ﴾ ٤١
- ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ ٥٣
- ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥٠﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ ٤٧
- ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ ٤٠
- ﴿ لَوْلَا أَنْ رُبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهَا ﴾ ٥٣
- ﴿ لَيَذَّهَبُوا آيَاتِهِ وَلَيَذَّكَّرْ أُولَئِكَ الْأَتَّابِ ﴾ ٥٧
- ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ٥١

الصفحة

الآية

- ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ ٤٣
- ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمَشْكَاةٍ فِيهَا ﴾ ٧٤
- ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ ٤٦
- ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّدِي حِجْرٍ ﴾ ٥٩
- ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٣٨
- ﴿ وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ٥٦
- ﴿ وَإِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ ٢٩
- ﴿ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ٤١
- ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ٦٥
- ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ ٥٣
- ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ ٣٤
- ﴿ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا ﴾ ٣٨
- ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ ٣٨
- ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ ٧٦
- ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا ﴾ ٣٩
- ﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ ٥٢
- ﴿ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ٣٩
- ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا ﴾ ٥٣
- ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ٣٣
- ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ ٥٣
- ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ ١٨

الصفحة

الآية

١٨	﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾
٧٤	﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾
٢٨	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾
٣٨	﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾
٣٩	﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾
٥١	﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾
٧٦	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾
٦٥	﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾
٢٩	﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾
٧٥	﴿وَلَا تَحْسِنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾
٧٥	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾
٢٦	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾
٥٦، ٣٨	﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾
٦٠	﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾
٣٩	﴿وَلَكِنَّ لِّطُغْمَنٍ قَلْبِي﴾
٢٧	﴿وَلَكِنَّ مِّنْ شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾
٤١	﴿وَلَكِنَّ يَأْخُذْكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾
٢٥	﴿وَلِيَتْلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾
٥٧	﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾
٣٩، ٢٥	﴿وَلِيَمْحَصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾
٣٣	﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾

الصفحة

الآية

٥٢	﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾
٥٩	﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾
٧٤	﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾
٤٧	﴿ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾
٥٧	﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾
٢٩	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ ﴾
٧٢	﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾
٣٠	﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾
٦٥	﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾
٢١	﴿ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾
	﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ
٣٧	﴿ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾
٦٦، ٤٩	﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾
٧١	﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾
٤٨	﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾
٧٦	﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾

الاحاديث النبوية

الصفحة

الحديث

- * «إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين وبصره عيوب نفسه، وبصره بداء الدنيا ودوائها» ٦٠
- * «إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية» ٧١
- * «الإسلام إقرار باللسان، وعمل بالأركان مع تصديقه بالإيمان ومشاهدته ببعض صنائع الرحمن» ٢٧
- * «أشد الناس في الدنيا بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» ٧١
- * «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع» ٣٥
- * «إن الله عز وجل تجاوز عن أمته ما حدثت به أنفسها» ٣٤
- * «إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ فقال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهارى وكأني أنهل إلى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاوون وإلى أهل النار في النار كيف يتعاوون» فقال له النبي ﷺ: «عرفت فالزم» ٤٩
- * «إن لهذا العلم طغيانا كطغيان المال» ٣٤
- * «إنما الأعمال بالنيات» ٤٢، ٢٠
- * «إنما مثل القلب كمثل ريشه في الفلاة من الأرض» ٥٠
- * «الإيمان في قلوبهم كالجبال الرواسي» ٦٦
- * «التقوى هاهنا» ٣٧
- * «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. ورجل كره أن يعود إلى الكفر بعد أن

الصفحة

الحديث

- أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار. ورجل أحب عبداً لم
 ٧٢ يحبه إلا لله»
 ٦٧ * «الخبر ليس كالمعاينة»
 * «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد
 ٧٢ رسولا»
 * «رأيت ربك؟ قال: ما كنت أعبد شيئاً لم أره.
 فقال: كيف رأيته؟ قال: إنه لم تره الأبصار بمشاهدة العيان.
 ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»
 ٤٨ * «رب حامل فقه لا فقه له. ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه».
 ٦٠ * «راجر الله في قلب كل مؤمن وواعظه في قلب كل مؤمن»...
 ٧٥ * «العلم علمان: علم باللسان فذلك حجة الله على خلقه. وعلم
 بالقلب فذلك العلم النافع»
 ٣٥ * «فراصة المؤمن لا تخطئ»
 ٧٤ * «كان لى شيطان إلا أن الله تعالى أعاننى عليه فأسلم»
 ٦٥ * «لا حكيم إلا ذو تجربة ولا حليم إلا ذو عشرة»
 ٥٨ * «لا عمل لمن لانية له»
 ٤٢ * «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً، ولحثيتم
 ٧١ التراب على رؤوسكم»
 * «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»
 ٤٠ * «ليس الخبر كالمعاينة»
 ٥٣

الصفحة

الحديث

- * «ليفتك قلبك» ٧٥
- * «ليليني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم» ٥٩
- * «من عرف نفسه عرف ربه» ٧٤
- * «من عمل بما يعلم أورثه الله علم ما لم يعلم» ٣٥
- * «من مات فقد قامت قيامته» ٧٥
- * «من يشاهد الله وكبرياءه فى أشد البلاء» ٧١
- * «المؤمن ينظر بنور الله تعالى» ٧٤
- * «نعوذ بالله من شرور أنفسنا» ٦٥
- * «نعوذ بالله من منافق عليم اللسان جهول القلب» ٦٥
- * «هن ناقصات العقل والدين» ٤٤
- * «يثاب الناس على قدر نياتهم» ٤٢
- * «اليد جناح والرجلان بريد. والعينان مصلحة. والأذنان قمع. والكبد رحمة، والطحال ضحكة، والكليتان مكر، والرئة نفس. فإذا صلح الملك صلحت جنوده، وإذا فسد الملك فسدت جنوده» ٢٠

الحكم والآثار

الصفحة

قال الحسن:

«إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير
بذنبه، المواظب على طاعة ربه» ٦٠

قال الحكيم:

«إن القلب إذا قسى لا يبالي إذا أساء» ٤١

قال القائل:

طلعت نور شمسه في القلوب
وأضاءت فما لها من غروب
يتباهون بالحبيب فكل
أخذ من حبيبه بنصيب .. ٧٨

قال الحكيم:

«ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة، والرضاء مصيبة» ٦٠

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- كتب الحديث.
- ٣- ابن شرف الدين: زكريا يحيى - التبيان فى حملة القرآن - ط القاهرة.
- ٤- ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبدالله محمد - مفتاح دار السعادة- ط القاهرة.
- ٥- ابن منظور: أبو الفضل محمد بن جلال الدين - لسان العرب - ط بيروت.
- ٦- أبو نعيم: الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط دار الفكر العربى.
- ٧- بركة: الدكتور عبدالفتاح بركة - الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية - طبع مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.
- ٨- الحسينى: الدكتور عبدالمحسن الحسينى - المعرفة عند الحكيم الترمذى - ط القاهرة.
- ٩- الحكيم الترمذى: أبو عبد الله محمد بن على المتوفى سنة ٣٢٠ هـ.
- ١- كتاب الاكياس: والمغترين تحقيق الدكتور أحمد السايح والدكتور السيد الجميلى - ط القاهرة.
- ٢- أدب النفس: تحقيق الدكتور أحمد السايح - ط الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة.
- ٣- غور الأمور: مخطوط جارى تحقيقه بعناية الدكتور سامى عفيفى حجازى والدكتور أحمد السايح.
- ٤- كيفية السلوك إلى رب العالمين: تحقيق الدكتور أحمد السايح ط الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة.

- ٥- علم الأولياء: تحقيق الدكتور سامى نصر لطف - ط مكتبة الحرية مصر.
- ٦- منازل العباد من العبادة تحقيق الدكتور أحمد السايح - ط المكتب الثقافى بالقاهرة.
- ٧- الأمثال من الكتاب والسنة: تحقيق الدكتور أحمد السايح - طبع دار الزهراء للإعلام العربى. القاهرة.
- ٨- نواذر الأصول فى معرفة أحاديث الرسول تحقيق: الدكتور السيد الجميلى والدكتور أحمد السايح - ط دار الريان للتراث الإسلامى القاهرة.
- ٩- الصلاة ومقاصدها: تحقيق الدكتور السيد الجميلى والدكتور أحمد السايح - ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة. السعودية.
- ١٠- الحج وأسراره: تحقيق، الدكتور أحمد السايح - تحت الطبع.
- ١١- النفس والقلب والروح المسمى حقيقة الأدمية: تحقيق الدكتور أحمد السايح - ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة. السعودية.
- ١٠- السايح: الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح - السلوك عند الحكيم الترمذى ومصادره من السنة النبوية - ط دار السلام بالقاهرة.
- ١١- السايح: الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح - بحوث ودراسات - ط دار فرسان الكلمة بالقاهرة.
- ١٢- السايح: الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح - الفضيلة والفضائل فى الإسلام - ط مركز الكتاب للنشر القاهرة.
- ١٣- السايح: الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح - هذا هو الإسلام - ط مركز الكتاب للنشر القاهرة.
- ١٤- السايح: الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح - أضواء حول الحضارة الإسلامية - ط دار اللواء بالرياض. السعودية.

- ١٥- السيوطى: الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر - الجامع الصغير - ط القاهرة.
- ١٦- الشوكانى: محمد بن على - فتح القدير - ط الحلبي مصر.
- ١٧- طاش كبرى زادة: حسام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى - مفتاح السعادة ومصباح السيادة - ط الاستقلال الكبرى.
- ١٨- عبداللطيف: الدكتور عبدالموجود عبداللطيف - كشف اللثام عن أسرار تخريج حديث سيد الأنام - ط مكتبة الكليات الأزهرية.
- ١٩- الغزالي: حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي - ثلاث رسائل فى المعرفة تحقيق الدكتور محمود حمدى رزوق - ط مكتبة الكليات الأزهرية.
- ٢٠- الغزالي: حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي - المنقذ من الضلال - ط دار الكتاب اللبنانى.
- ٢١- الفيروزابادى: مجد الدين محمد بن يعقوب - بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.
- ٢٢- القرطبى: الجامع لأحكام القرآن - ط كتاب الشعب بالقاهرة.
- ٢٣- مجمع اللغة العربية معجم ألفاظ القرآن الكريم - ط الهيئة العامة للكتاب بمصر.
- ٢٤- النووى: محبى الدين النووى الشافعى - كتاب الأذكار - ط الحلبي بمصر.
- ٢٥- الهندى: علاء الدين على المتقى بن حسام الدين - كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال - ط مؤسسة الرسالة.
- ٢٦- اليافعى: أبو عبدالله اليافعى - نشر المحاسن العالية - مخطوط دار الكتب القطرية. قطر.

.

فهرس الموضوعات

الصفحة

الموضوع

٣ مقدمة التحقيق
٥ الحكيم الترمذى
١٥ مقدمة الحكيم الترمذى
١٧ الفصل الأول: فى مقامات القلب
٢٥ الفصل الثانى: فى الصدر
٣٣ الفصل الثالث: فى التلب
٤٧ الفصل الرابع: فى الفؤاد
٥٥ الفصل الخامس: فى اللب
٦٣ الفصل السادس: فى أنوار القلب
٨٥ فهرس الآيات القرآنية
٩٣ فهرس الأحاديث النبوية
٩٩ الحكم والآثار
١٠٣ مراجع التحقيق
١٠٩ فهرس الموضوعات

رقم الإيداع ٩٧/١٣٠٠٩
I.S.B.N. الترقيم الدولي
977-294-038-8

طبع آمون
عطفة فيروز - متفرع من ش إسماعيل أباطة - لاطوغلى
تليفون: ٣٥٤٤٥١٧ - ٣٥٤٤٣٥٦

